جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات بالإسكندرية
قسم العقيدة والفلسفة

دراسات عقائدية

« النبوات والسمعيات »

دكتورة
منى إبراهيم أبو شادى

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ

لنا من أمرنا رشدا »

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة :

الحمد لله والصــلاة والســلام على رسول الله ســيدنا محمد وعلــى آله وأصحــابه الطيبين الطاهرين ومن ســار على نهجه واتبع هديــــه إلى يوم الديـــن ٠

وبعـــد

فهذه دراسات موجزة حول مبحثين من مباحث علم التوحيد "النبوات والسمعيــات" تناولت فيها بعض موضــوعات هذين المبحثين بأسلــوب سهل ميســر حتى يسهل على الطالبــات فهمها واستيعابها ٠

والله العلى القدير أســأل أن يجعل هذا العمل العلمى المتواضع خالصا لوجهه الكريم وأن يحقق به النفع المأمول إنه من وراء القصد يقــول الحــق وهو يهدى السبيــل وهو حسـبنا ونعم الــوكيل٠

منى إبراهيم أبو شادى

تعريف النبي والرسول

خلق الله الإنسان وأوجد فيه غرائز مختلفة متباينة ، ومنحه العقل كي يميز به بين الخير والشر والنافع والضار ، إلا أنه مع هذا أرسل إليه رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون له حجة على الله ، ومن ثم كان ولابد من أن نتعرض لتعريف الرسول لنعرف الفرق بينه وبين النبي ، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية .

تعريف النبي :

أولا : تعريفه لغة :

لفظ نبي يستعمل تارة بياء مشددة (نبيّ) وعلى ذلك يكون مأخوذا من النَّبْوَة وهو المرتفع من الأشياء ، أو بمعنى الارتفاع عن الأرض وذلك لعلو شأن النبي وارتفاعه بين قومه واختياره ممن هم أرفع الناس خلقا وأشرفهم نسبا .

وقد يستعمل مهموزا أي (نبيء) فيكون مأخوذا من النبأ الذي هو الإخبار والإعلام وعلى ذلك فالنبي منبئ ومخبر عن الله عز وجل (١) .

---

(١) انظر : لسان العرب مادة (نبأ) .

ثانيا : تعريفه اصطلاحيا :

النبى إنسان ذكر حر من بنى آدم سليم من أى طبع منفر أوحى الله إليه بشرع ليعمل به سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر .(١)

تعريف الرسول :

أولا : تعريفه لغة :

لفظ الرسول مأخوذ لغة من الإرسال وهو يطلق على الواسطة بين المرسِل والمرسَل إليه ، فالرسول يطلق على الوسيط بين المرسل (الله تعالى) والمرسل إليه (الخلق) .

ولقد غلب إيراد لفظ الرسول مطلقا غير مقيد على المبعوث من قبل الله - عز وجل - لهداية البشر .

ثانيا : تعريفه اصطلاحا :

الرسول إنسان ذكر حر من بنى آدم سليم من أى طبع منفر أوحى الله إليه بشرع ليعمل به وأمر بتبليغه .(٢)

---

(١) انظر : شرح البيجورى على الجوهرة : ص١٦ ، روح المعانى للآلوسى ١٧/١٧٣ .

(٢) انظر : شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٧ .

من خلال تعريف كلٍّ من النبي والرسول رأينا أن التبليغ ليس قيداً في النبي بينما هو قيد في الرسول ، وهذا هو ما ذهب إليه جمهور المتكلمين مستدلين على ذلك بقوله - تعالى - " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ... "(١)

آراء العلماء حول العلاقة بين النبي والرسول :

يتردد كثيرا لفظ النبي والرسول ، وهنا نتساءل : هل هما لفظان لمدلول واحد أم أن لكل واحد منهما مدلولا خاصا به ؟ وإذا كان لكل منهما مدلول خاص به فإلى أي مدى يتفقان أو يختلفان ؟

العلماء في ذلك فريقان :

الفريق الأول :

يرى أن النبي والرسول كليهما : إنسان حر ذكر من بني آدم أوحى الله إليه بشرع ليعمل به وأمر بتبليغه .

فالنبي والرسول : عند هذا الفريق من الباحثين يتفقان في التبليغ عن الله - سبحانه وتعالى - وليس هناك من فرق بينهما سوى أن الرسول له : كتاب خاص به ، وشرع منسوب إليه .

---

(١) جزء الآية (٦٧) من سورة المائدة .

أما الكتاب فكالتوراة بالنسبة لسيدنا موسى - عليه السلام - والإنجيل بالنسبة لسيدنا عيسى - عليه السلام - وكالقرآن بالنسبة لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وأما الشريعة فمن المعروف أنه كان لسيدنا موسى - عليه السلام - شريعة خاصة به ، ولسيدنا عيسى - عليه السلام - شريعة خاصة به ، ولسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كذلك .

وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا ..." (١) .

فقد ثبت لدينا مما تقدم أن لكل رسول كتابا وشريعة تخصه وهذا بخلاف النبى إذْ لا يلزم أن يكون له كتاب خاص به أو شريعة تخصه وذلك كيوشع مثلا وغيره من أنبياء بنى إسرائيل فقد كانوا للرسل بمثابة المساعدين فى التبليغ .

بناء على ما تقدم يكون النبى والرسول - على مذهب هؤلاء - متفقين فى الوحى والتبليغ ، ومختلفين فى أن الرسول له كتاب

---

(١) جزء الآية (١٣) من سورة الشورى .

وشريعة خاصة به بينما النبي ليس كذلك

لقد استدل هذا الفريق على رأيه بقوله - تعالى - " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ... " (١) ففي هذه الآية الكريمة نلاحظ أن الإرسال قد جعل وصفا للرسول كما هو للنبي .

وينبني على هذا الرأي أن الغاية من إرسال كل من النبي والرسول واحدة حيث إن كليهما سفير لله - سبحانه وتعالى - أي مبلغ ومنبئ ومخبر عن الله - تبارك وتعالى - .

الفريق الثاني :

يرى هذا الفريق أن النبي والرسول مختلفان في التبليغ ، فالنبي غير مأمور بالتبليغ ، والرسول مأمور به مستدلين على ذلك بقوله تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي .. " فقد عطف لفظ النبي على لفظ الرسول والعطف يقتضي المغايرة .

وعلى هذا فالرسول غير النبي في أبرز قيود هذا الباب وهو التبليغ . وهذا هو الرأي الشائع والمشهور في عدم اشتراط التبليغ بالنسبة للنبي حتى أصبح هذا قاعدة مسلما بها وأمرا يعلمه الخاصة والعامة .

---

(١) جزء الآية (٥٢) من سورة الحج .

وهذا الرأى من وجهة نظرى غير صحيح لعدة أمور :

أولا : أنه رأى مرفوض ديانة :

إذ لم يرد فى قصص الأنبياء على كثرة ما قص الله - تعالى - عنهم أن أحدا منهم قصر وحى الله - تعالى - إليه على نفسه ، وحرم الناس منه ، أو كتم علما علمه الله - تعالى - إياه عن قومه وخلطائه .

ثانيا : أنه رأى مرفوض عقلا :

إذ لايعقل أن يختار الله - سبحانه وتعالى - إنسانا ، ويصطفيه نبيا ويخصه بالوحى ويرشده إلى الحق ويميز له الخبيث من الطيب ، والحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، والهدى من الضلال ، والرشد من الغى ، ثم يحيا هذا الإنسان بين أظهر الخلق ، ويكتم ما علمه الله من الحق ، ويخفى ما عرف من الهدى ، ويترك الناس فى غيهم يعمهون ، يعبدون غير الله ويكفرون بالله وهو ينظر إليهم ، ويعايشهم دون أن يأمرهم بمعروف أو ينهاهم عن منكر ، ويعرفهم بربهم ، ويهديهم إلى طريق الحق .

ثالثا : أنه رأى مرفوض واقعا :

لاشك أن الدين يفرض على الإنسان أن ينشر الخير والبر وينهى عن الشر والضر ولاشك أن جماع الخير والبر يتمثل فى دين الله

ووحيه ـ سبحانه وتعالى ـ كما أن الشر والضر يتمثل فى منع تبليغ الناس شرع الله وحرمانهم من مبادئه وتعاليمه . ومن ثم فرض الله ـ تعالى ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفرض إشاعة العلم وحرم كتمانه ، وجعل دينه أمانة ثقيلة أشفقت السموات والأرض والجبال أن يحملنها ، وحملها الإنسان وثقلها يتمثل فى القيام بها ونشرها وليس فى كتمانها والاستئثار بها .

ومن هنا أيضا جاء الوعيد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة شديدا وعظيما لمن يكتم علما علمه الله إياه ويكتم شرع الله عن الخلق .

قال ـ تعالى ـ: " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " (١)

فقد جاء هذا الوعيد كما نرى موجها إلى سواد الناس وعامتهم فما بالك بالأنبياء والرسل ! ! !

قال ـ سبحانه وتعالى ـ " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون " (٢) .

---

(١) الآية (١٥٩) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٨٧) من سورة آل عمران .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (مَنْ سُئِلَ عن علم عَلِمَهُ ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار) (١) .

ومن شهد الكثير من النصوص على صحة ما ذهبنا إليه من أن كلا من النبي والرسول مُرْسل من قبل الله إلى عباد الله ، وصدق الله العظيم إذ يقول : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " فصفة الإرسال مشتركة بين كل منهما ولاشك أن الإرسال يقتضي التبليغ إذ لا فائدة تُذْكر من إرسال أحد دون أن يبلغ شيئا عمن أرسله إلى من أرسل إليهم .

---

(١) سنن الترمذي : ١٣٧/٤ .

الشروط الشرعية التي يجب توافرها

في كل من النبي والرسول

ذكر المتكلمون للأنبياء والرسل شروطا شرعية هي :

١ـ البشرية .. فليس هناك رسول أو نبي من الجن أو الملائكة مثلا حتى يمكن التبليغ لهؤلاء المرسل إليهم الرسول .

٢ـ الحرية .. فلا يتصور أن هناك رسولا أو نبيا من العبيد إذ العبودية لاتمكنه من نشر دعوته ولا الجهاد في سبيلها لأنه ليس حرا في تصرفاته .

٣ـ الذكورة .. إذ ليس هناك نبي أو رسول من الإناث فهذا الميدان لاتصلح له المرأة للتبعات الكثيرة الملقاة على عاتق من سيقوم بتبليغ الوحي ويشهد لذلك قوله ـ تعالى ـ " وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ..."(١)

ووجه الدلالة واضح حيث نصت الآية على أن المرسلين قبل الرسول محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الرجال . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإناث لسن مؤهلات للقيام بمثل هذه الوظيفة .

وهنا يرد تساؤل مؤداه : هل في النساء من نبئت ؟

---

(١) جزء الآية (١٠٩) من سورة يوسف .

جمهور العلماء يرى أن قيد الذكورة أمر مطلوب بالنسبة للأنبياء والرسل وبناء على ذلك فإنهم يقررون أنه لايوجد أحد من الإناث قد أوحى إليه . ولاتنافى بين ماذكره العلماء وبين ماورد فى القرآن الكريم من إسناد الوحى إلى أم موسى — عليه السلام — فى قوله تعالى "وأوحينا إلى موسى أن أرضعيه ..." (١) لأن الوحى المسند إلى أم موسى معناه الإلهام ولاشك فى أن هذا قدر مشترك بين جميع الناس . كما أنه لاتنافى أيضا بين ماذكروه وبين إسناد الأمر الإلهى إلى أم عيسى-عليه السلام- الوارد فى قوله تعالى " فناداها من تحتها ألا تحزنى ..." (٢) فقد أسند الله أمره إلى مملكة النحل عندما قال فى محكم كتابه : " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون " (٣) .

وما ورد فى حق أم موسى وعيسى — عليهما السلام — لايعنى النبوة ولايستلزمها .

٤ — السلامة من المنفرات حتى لايتفرق الناس عنه سواء كان المنفر خِلقيا ،بأن يصاب بمرض معد أو خُلقيا بأن يكون حاد الطبع متصفا بمرذول الصفات .

---

(١) جزء الآية (٧) من سورة القصص .

(٢) جزء الآية (٢٤) من سورة مريم .

(٣) الآية (٦٨) من سورة النحل .

٥- كونه أعلم بالدين ممن بعث إليهم ، لأنه سيكون إماما لهم فـي هذا الدين ، فكيف يكون علمه أدنى من علمهم ؟

هذا ولم يشترط المتكلمون البلوغ كشرط سادس للنبوة أو الرسالة لاتفاقهم على جواز أن يبعث الله نبيا صغيرا ومع هذا فقد اختلفوا في وقوع ذلك ، فهل حدث أن بعث نبي دون البلوغ ؟

العلماء في ذلك فريقان :

الفريق الأول : ويتزعم هذا الفريق الفخر الرازي ويرى أن ذلك وقع فعلا مستدلا بما حدث ليحيى -عليه السلام- فقد قال القرآن الكريم فيه : " يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا • وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا "(١) •

وبما وقع لعيسى -عليه السلام- فقد قال وهو في المهد ما يحكيه عنه القرآن الكريم : " ... إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا "(٢) •

الفريق الثاني : يرى أن ذلك لم يقع حيث لم يبعث نبي دون البلوغ وإن كان ذلك جائز الوقوع •

---

(١) الآيتان (١٢) ، (١٣) من سورة مريم •

(٢) جزء الآية (٣٠) من سورة مريم •

الرد على الفريق الأول :

وقد ردّ الفريق الثاني على ما استدل به الفريق الأول بأن الآيتين يتحدثان على ما سيحدث لا على ما حدث فعلا والتعبير بالماضي لتأكد الوقوع والحدوث لا لأنه حدث فعلا .

صفـــات الرســـل

مايجب لهم من الصفات ومايستحيل ومايجوز ٠

يجب للرسل إجمالا كل كمال بشرى يتلاءم والهدف من إرسالهم. ويستحيل عليهم كل نقص بشرى لايتفق والغرض من بعثتهم وإرسالهم بالإضافة إلى أضداد الصفات الواجبة فى حقهم والتى ســــوف نتناولها تفصيلا فيما بعد ٠

الصفات الواجبة لهم :

يجب للرسل تفصيلا أربع صفات هى : الصدق ، الأمانة ، التبليغ ، الفطانـة ٠

الصـــدق : هو مطابقة الخـبر للواقع ولو بحسب الاعتقاد ٠ (١)

وهذا التعريف يوضح لنا أن للصدق اطلاقين :

الأول : أعم وهو مطابقة الخبر للواقع بحسب الاعتقاد ٠ وإن لم يكـــن مطابقا لما فى الواقع ونفس الأمر ٠

مثال ذلك : ماقاله الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لذى اليدين حين سأله ٠ أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله وكان الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ قد سلم بعد ركعتين فى صلاة رباعية فقال الرسول (كـــل ذلك لم يكـــن) ٠

---

(١) انظر : شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٤٣

فهذه القصة تبين لنا معنى الصدق بحسب الاعتقاد فقط وإن لم يكن مطابقا للواقع ونفس الأمر فقد سلم الرسول بعد ركعتين معتقدا أنه سلم بعد أربع ولم يكن ذلك مطابقا للواقع ونفس الأمر .

فهذا إذن صدق بحسب الاعتقاد .

الثاني : أخص وهو مطابقة الخبر للواقع في الواقع ونفس الأمر ، وذلك مثل إخبار الأنبياء بأنهم أرسلوا إلى الخلق . ومثل كل ما يتعلق بالوحي .

أنواع الصدق :

يتنوع الصدق إلى ثلاثة أنواع :

١- صدق في دعوى الرسالة ، بأن يكون الرسول صادقا في قوله : إني رسول الله إلى من أرسل إليهم من البشر ، وهذا النوع من الصدق لابد وأن يكون الخبر فيه مطابقا للواقع ونفس الأمر ، وهذا بالمعنى الأخص .

٢- صدق في الأحكام الشرعية وفي المسائل العقدية التي جاءت بهما هذه الرسالة . وهذا النوع من الصدق لابد وأن يكون بالمعنى الأخص الذي هو مطابقة الخبر للواقع في الواقع ونفس الأمر مثل سابقه .

٣- صدق في غير ذلك من أخبار ، كالتعاملات الدنيوية أي في غير دعوى الرسالة وماجاءت به ، كحضور زيد وغياب عمرو وهذا النوع من الصدق يكتفي فيه بالمعنى الأعم أي بمطابقة الخبر للواقع ولو بحسب الاعتقاد وإن لم يطابق الواقع ونفس الأمر (١) .

الأدلة على وجوب صفة الصدق :

هناك أدلة كثيرة نقلية وعقلية تثبت وجوب اتصاف الرسل بالصدق نذكر منها مايلي :

١- من الأدلة النقلية قول الله - سبحانه وتعالى -: "... وصدق الله ورسوله ..." (٢) وقوله - عز وجل - "وماينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى" (٣)

٢- ومن الأدلة العقلية :

أ - أنه لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى ، لأنه صدقهم بالمعجزة وتصديق الكاذب كذب والكذب على الله محال .

---

(١) انظر : شرح البيجوري على الجوهرة ص ١٤٣ .

(٢) جزء الآية (٢٢) من سورة الأحزاب .

(٣) الآيتان (٣، ٤) من سورة النجم .

ب - أن الكذب معصية وهم معصومون من المعاصي .

حـ - أنهم لو كذبوا لما وثق الناس بهم ومن ثم تضيع فائدة الرسالة التي أُرسلوا بها وكلفوا بتبليغها .

الأمانة (العصمة) :

هي حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو كراهة أو خلاف الأولى ، فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر . كما أنهم محفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن .

والمراد المنهي عنه ولو صورة فيشمل ما قبل النبوة ولو في حال الصغر ولا يقع منهم مكروه ولا خلاف الأولى بل ولا مباح على وجه كونه مكروها أو خلاف الأولى أو مباحا . وإذا وقع صورة ذلك فهو للتشريع فيصير واجبا أو مندوبا في حقهم ، فأفعالهم - عليهم الصلاة والسلام - دائرة بين الواجب والمندوب .

الدليل على وجوبها لهم :

الدليل النقلي : قوله - تبارك وتعالى - " إني لكم رسول أمين " (١)

---

(١) الآية (١٢٥) من سورة الشعراء .

الدليل العقلي :

١- عدم الأمانة يؤدي إلى الخيانة والخيانة نقص لا يليق بذواتهم - صلوات الله عليهم أجمعين - وإذا انتفت الخيانة ثبتت الأمانة وهو المطلوب .

٢- أن الرسل لو خانوا باقترافهم فعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكنا مأمورين باتباعهم فيما أتوا به . لكن التالي باطل فبطل ما أدى إليه . ودليل بطلان التالي قوله - تعالى - " ... إن الله لا يأمر بالفحشاء ... "(١)

ومن هنا اعتبر هذا الدليل دليلا شرعيا وإن ورد في صورة الدليل العقلي أما دليل بطلان المقدم فهو قوله - تعالى - " واتبعوه لعلكم تهتدون "(٢) .

---

(١) جزء الآية (٢٨) من سورة الأعراف .

(٢) " " (١٥٨) من سورة الأعراف .

التبليـــغ :

هو قيامهم بالمهمة التي من أجلها أرسلوا وهى تبليغ النـــاس ما أمروا بتبليغـــه لهم من عقائد وأحكـــام وأخـــلاق ٠

الدليل على وجوبها لهـــم :

الدليل النقلي :

قوله تعالى : " ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ..(١) " والخطاب وإن كان موجها إلى رســـول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أنه عام لجميع من سبقوه من الرســـل ٠

وقولـــه - سبحانه وتعالى - : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجـــة بعد الرسل ..(٢) "

فقد وصف الله تعالى رسله الكرام في هذه الآية الكريمة بالتبشير والإنذار وهما لايتحققـــان إلا بالتبليـــغ ٠

الدليل العقلي :

١- لو كتموا شيئا مما أمـــروا بتبليغـــه لكنا مأمورين - اقتداء بهـــم - بكتمان العلم ٠ لكن كتمان العلم باطل لأن كاتم العلم ملعون فبطل

---

(١) جزء الآية (٦٧) من سورة المائدة

(٢) جزء الآية (١٦٥) من سورة النساء

ما أدى إليه من كتمانهم أى شيء أمروا بتبليغه وهو المطلوب .

٢- لو جاز عليهم كتمان شيء مما أمروا بتبليغه إلى من أرسلوا إليهم لكتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعض آيات العتاب مثل :-

أ - قوله - تعالى - : " وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ... " (١)

ب - وقوله - عز وجل - : " ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ... " (٢)

حـ - قوله تعالى : " ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ... " (٣)

ووجه الاستدلال بهذه الآيات الكريمة أن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - بلغ هذه الآيات التى عوتب فيها من قبل الله جل وعلا . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه لم يترك شيئا مما أوحى إليه به إلا بلّغه .

---

(١) جزء الآية : (٣٧) من سورة الأحزاب .

(٢) جزء الآية : (٦٧) من سورة الأنفال .

(٣) جزء الآية : (٢) من سورة الفتح .

الفطانـــة :

الفطانة هي : التيقظ وحدّة العقل وذكاؤه بحيث يتمكن المتصـف بها من إلزام المخالفين ورد ادعاءاتهم الباطلة وإفحام المعاندين منهم ٠

الدليل على وجوبها لهم :

الدليل النقلي : قوله تعالى : "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ..." (١) وقوله -عز وجل- : "٠٠ وجادلهم بالتي هي أحسن ٠٠" (٢) وقوله سبحانه وتعالى - "٠٠ يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ..." (٣)

ووجه الاستدلال من هذه الآيات واضح لايحتاج إلى بيان ٠

الدليل العقلي :

١- أنهم لو لم يكونوا فطناء لكانوا عاجزين عن إقامة الحجج وهنا يكـــون إرسالهم عبثا ولاشك أن العبث على الله محال حيث إنهم أُرسلـوا إلى الناس لبيان الشرائع والأحكام بعد دعوتهم إياهم إلى التمسـك بالعقيدة الحقة من إيمان بالله ورسله وكتبه ٠٠ الخ ٠

٢- لو لم يتصف الرسل بالفطانة لاتصفوا بضدها من غفلة وبلادة وبـذا يوصفون بالنقص عادة وهذا النقص لايتفق والمكانة العالية التـي اصطفاهم لهم وآثرهم على عباده بها ٠

---

(١) جزء الآية (٨٣) من سورة الأنعـــام ٠

(٢) جزء الآية (١٢٥) من سورة النحل ٠

(٣) جزء الآية (٣٢) من سورة هـــود ٠

ماتقدم كان بالنسبة لما يجب للرسل وما يستحيل فى حقهم من صفات . أما مايجوز فى حقهم فهو جميع الأعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نفرة الناس منهم أو إلى نقص فى حقهم . وذلك كالأكل والشرب والمشى فى الأسواق ومزاولة الأعمال الشريفة دون الوضيعة . وكذلك المرض غير المنفر أما المرض المنفر فإنه لايجوز .

دليل الجواز : مشاهدة وقوع ذلك منهم وإتيانهم له وكل ما كان كذلك فهو جائز .

تقرأ مع المصدر

آراء منكرى بعثة الرسل

هناك من أنكر بعثة الرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - وهؤلاء المنكرون مشهورون فى كل زمان ومكان ، إلا أننا فى هذا المقام سوف نذكر أشهر فرقهم ، ونذكر لكل فرقة شبهها وحججها ثم نرد عليها - بحول الله تعالى - وقوته .

البراهمة :

من منكرى البعثة الذين اشتهروا فى هذا الباب ،واشتهر الكلام عنهم فى المؤلفات والأبحاث التى تدور حول هذا الموضوع هم : البراهمة .

والبراهمة هم متدينو الهند أو هم عامة المتدينين فى بلاد الهند الواسعة ، فلقد اشتهرت فيها نحل عديدة بجانب الديانة البرهمية ، أو الهندوسية - كما يطلق عليها - نسبة إلى بلاد الهند .

والبراهمة ليسوا هم جميع أفراد المتدينين بتلك الديانة ، بل هم طائفة رجال الدين فيها ، إذ من المعلوم أن المتدينين بتلك الديانة الهندوسية أو البرهمية طوائف أربع : المنبوذون ، والتجار ، والجنود ، ورجال الدين .

ولرجال الدين أو طائفة البراهمة آراء حول بعثة الرسل من؟

الله - تعالى - هى التى نعرض لها :

فقد ذهبت البراهمة إلى استحالة البعثة عقلا ،وزعموا أن مجىء الرسل من باب الممتنع ،وسندهم فى ذلك التحسين والتقبيح العقليين فما كان حسنا عند العقل فهو حسن وإن لم تأت به الرسل وما كان قبيحا عند العقل فهو قبيح ويجب تركه وإن لم تنه عنه الرسل ، ومع أن ابن حزم وكثيرا من المتكلمين يذكرون أن البراهمة ينكرون النبوات كلية ويجعلونها من باب المحال ، إلا أن الباقلانى ذكر أنهم فريقان فريق جحد الرسل كلية ، وفريق آخر أقر بنبوة بعضهم كآدم وإبراهيم عليهما السلام ، وأنكر نبوة غيرهما (١) .

ولقد احتج القائلون باستحالة البعثة بعدة وجوه :

١ - المبعوث لابد أن يعلم أن القائل له أرسلتك هو الله ولا طريق إلى العلم به إذ لعله من إلقاء الجن ،فإنكم أجمعتم على وجوده .

٢- أن من يلقى إليه الوحى إن كان جسما وجب أن يكون مرئيا وإلا كان ذلك منه مستحيلا .

---

(١) انظر : التمهيد ص ١٠٤ للباقلانى تحقيق الأب مكارثى .

٣- التصديق بالبعثة يتوقف على العلم بوجود المرسل وما يجوز عليه وما لايجوز وأنه لايحصل إلا بالنظر وهو غير مقدر بزمان ، فللمكلف الاستمهال بدعوى عدم العلم ، ويلزم إفحام النبى وتبقى البعثة عبثا ، وإلا لزم التكليف بما لايطاق وإنه قبيح عقلا (١) .

الرد على هذه الوجوه :

بالنسبة لرد الوجه الأول والثانى نقول : إن المرسل ينصب دليلا أو يخلق علما ضروريا فيه يعلم عن طريقه أن الذى بعثه إنما هو الله - تعالى - .

أما بالنسبة للوجه الثالث فإنه على أصلنا لايجب الإمهال مع العلم العادى الحاصل عن المعجز (٢) .

---

(١) انظر : المواقف للإيجى ص٣٤٣ .

(٢) نفس المرجع

مسألة التحسين والتقبيح العقليين

بعد تسليم حكم العقل بالحسن والقبح ، فإن الشرع فائدته تتمة تفصيل ما أعطاه العقل اجمالا من مراتب الحسن والقبح والمنفعة والمضرة ،وبيان ما يقصر عنه العقل ، فإن القائلين بحكم العقل لاينكرون أن هناك من الأفعال مالايحكم فيه العقل كوظائف العبادات وتعيين الحدود ومقاديرها ، وتعليم ماينفع ومايضر من الأفعال . وذلك كالطبيب الحاذق يعرف الأدوية وطبائعها وخواصها مما لو أمكن معرفتها للعامة بالتجربة لاحتاج ذلك إلى وقت طويل يحرمون فيه من فوائدها ويقعون فى المهالك قبل استكمالها مع أن اشتغالهم بذلك يوجب إتعاب النفس وتعطل الصناعات والشغل عن مصالح المعاش ، فإذا تسلموه من الطبيب خفت المؤنة وانتفعوا به وسلموا من تلك المضار ، ولايكون فى إمكان معرفته غنى عن الطبيب فكيف ، والنهى يعلم مالايعلم الا من جهة الله ـ سبحانه وتعالى . (١)

---

(١) انظر : المواقف للايجى ص ٤٤٢ ومابعدها .

موقف الصابئين من النبوة

الصابئون يقرون بوجود المحسوس والمعقول والحدود والأحكام وينكرون الشرائع والنبوات ، وسموا (صابئة) لميلهم عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء ، ففي اللغة يقال صبأ الرجل إذا مال وزاغ ، وعشق وهوى ، وهم يقولون : الصبوة أي الانحلال عن قيد الرجال (١) .

ومذهبهم يقوم على التعصب للروحانيات ، فهم يقولون إننا نحتاج في معرفة الله - سبحانه وتعالى - ومعرفته طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط ، هذا المتوسط لابد أن يكون روحا لا جسما لأن الملائكة جبلت على الطاعة والطهارة والتسبيح لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لذلك عبدوا الملائكة واعتقدوا أنهم شفعاء عند الله تعالى ، وأرشدهم إلى ذلك معلمهم الأول عاذيمون وهرمس ، وقالوا إن الأنبياء مثلنا بشر يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب وليس لهم مزية علينا فلا تجب علينا طاعتهم ، يقول الله تعالى حكاية عنهم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون) (٢)

---

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢/٧٦ .

(٢) الآية (٣٤) من سورة المؤمنون .

والصابئة طوائف منهم أصحاب الروحانيات القائلون بأن التقرب إلى الله – تعالى – إنما يكون بواسطة الروحانيات أى الملائكة فعبد وهم ومنهم أصحاب الهياكل وهم عبدة الكواكب ، ومنهم أصحاب الأشخاص وهم عبدة الأوثان .

وهذا بخلاف الحنفاء الذين كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام حيث قالوا إننا نحتاج فى المعرفة والطاعة إلى متوسط من جنس البشر تكون درجته فى الطهارة والعصمة والتأييد فوق الروحانيات .(١)

ولقد رد الشهرستانى على الصابئة ونقد قولهم وألزمهم القول بالنبوة فقال : " أنتم معاشر الصابئة سلمتم بنبوة عاذيمون وهرمس وهما شيث وإدريس – عليهما السلام – ... وإن أحلتم الرسالة فى الصورة البشرية ، فهما بشر مثلكم وأنتم مخبرون عنهما بشر مثلنا ، فإن قلتم : إنهما كانا حكيمين عالمين لا نبيين مرسلين ، قيل : ولم وجب عليكم اتباعهما ، والمحافظة على حدودهما وأحكامهما ، وانتهاج منهاجهما فى الدعوات والصلوات والزكوات ، وقد تساوت أقدامكم فى العقول والأنفس وتشابهت صوركم فى البشرية والإنسانية"(٢)

---

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستانى ٢/٧٦

(٢) نهاية الاقدام فى علم الكلام ص١٦٣ ومابعدها حرره وصححه الفرد جيوم .

وخلاصة القول أن الصابئة مادامــوا قد أقـروا بنبوة شيـث وإدريس - عليهما السـلام - فإنهم يكونـون قد أقـروا بأصـل النبـوة ووقـوعها ، وهذا يتناقـض مع زعمهـم ودعـواهم استحـالة نبـوة البشر ، وإن حـاولوا إنكار نبوتهمـا فإنهـم يسألـون : لـم سـاروا على نهجهمـا دون نهـج غيرهمـا ؟

وهذا سـؤال لايجـدون له جـوابا .

آراء العلماء فى تكييف النبوة

" منحة أو مكتسبة "

تعددت المذاهب حول النبوة من جهة تكييفها وشرائط وقوعها ويمكننا حصر هذه المذاهب فيما يلى :

مذهب أهل الحق :

أجمعت الأمة سلفا وخلفا لم يشذ عن ذلك أحد من المسلمين المهديين على أن النبوة هبة واصطفاء من الله تعالى ورحمة يختص بها من يشاء من عباده ليبلغ عن الله تعالى وليهدى القوم الذى يبعث فيهم فهى اصطفاء واختيار من الله سبحانه وتعالى ولاتكون إلا لمن قدر الله تعالى له هذا الشرف العظيم .

قال-تعالى-: " الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير "(١) .

وقال — تبارك وتعالى —: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين "(٢) .

وقال تعالى فى حديثه عن بعض رسله — عليهم السلام — "وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار "(٣) .

---

(١) الآية (٧٥) من سورة الحج (٢) الآية (٣٣) من سورة آل عمران
(٣) الآية (٤٧) من سورة ص .

فالنبوة لاتنال بمال ولا بجاه ،ولاتكتسب بالرياضة والمجاهدة ، ولا تحصل بكثرة العلوم وسعة المعرفة وليس كل إنسان مستعدا لأن يخصه الله تعالى بها ولكن الله عز وجل يضعها حيث يشاء ويختص برحمته من يشاء . قال — تعالى —: " .. الله أعلم حيث يجعل رسالته..." (١) وقال — سبحانه وتعالى —: " .. والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم " (٢) . وقال — تعالى—: " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " (٣) .

هذه هي العقيدة الحقة التي دان بها أهل الحق ، وهي عقيدتنا التي نلقى الله عليها — بحوله تعالى ولطفه — غير مضيعين ولا مفرطين .

مذهب الكرامية :

للكرامية رأي غريب في النبوة والرسالة فهم يرون أنهما أي "النبوة والرسالة " معنيان قائمان بالنبي والرسول سابقان على إرسال الله إياهما . وإنما يصطفى الله الأنبياء والرسل لوجود ذلك المعنى فيهم .

ولقد ذكر البغدادي زعم الكرامية هذا في معرض حديثه

---

(١) جزء الآية (١٢٤) من سورة الأنعام .

(٢) جزء الآية (١٠٥) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٤) من سورة الجمعة .

عن النبوات فقال : " زعمت الكرامية أن الرسالة والنبوة معنيان قائمان بالرسول والنبي غير إرسال الله إياه وغير عصمته وغير معجزته وفرقوا بين الرسل والمرسل الذى أرسل مُرْسَله ، وإذا سئلوا عن المعنى الذى لأجله يكون رسولا لم يصفوه بأكثر من أنه معنى قائم بالرسول غير إرسال الله إياه وغير عصمته ومعجزته ، ولا وجه للكلام معهم فى شئ لا يعرفون معناه " (١) .

ولاشك أن دعوى الكرامية هذه تفتح المجال أمام ضعفاء النفوس لادعاء النبوة والرسالة ، فتنتشر بناء على هذه الدعوى الفتن فى المجتمع ، والكرامية بدعواها هذه توجب على الله إرسال من فيه ذلك المعنى والله سبحانه وتعالى لايجب عليه شئ .

ولقد ذهبت الكرامية إلى القول بعدم الرسالة بعد موت الرسول بناء على قولهم بأن الرسالة والنبوة عرضان ومعنيان قائمان بالنبي والرسول ، فإذا مات انتفت الرسالة والنبوة .

ولقد ذهب الباقلانى فى معرض تناوله للنبوة والرسالة إلى أن " نبوات الأنبياء صلوات الله عليهم لاتبطل ولا تخرم بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة ، بل حكمهم فى حال خروجهم

---

(١) أصول الدين ص ١٥٤ .

من الدنيا كحكمهم فى حالة نومهم ، وحالة اشتغالهم ، إما بأكل أو شرب ، أو قضاء وطر . والدليل عليه : أن حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم فى حالة اشتغالهم بأداء الرسالة دون غيرها من الحالات ، لكانوا فى غيرها من الحالات غير موصوفين بذلك ، وقد غلط من نسب إلى مذهب - المحققين من الموحدين إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا ، وليس ذلك بصحيح ، لأن مذهب المحققين أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة ، وإنما صار رسولا واستحق شرف الرسالة والنبوة بقول مرسله : وهو الله تعالى : أنت رسولى ونبيى ، وقول الله تعالى قديم لايزول ولا يتغير..."(١) .

الفلاسفة :

ذهب كثير من الفلاسفة ومن نحا نحوهم إلى أن الرسالة تنال بالكسب والانقطاع إلى الله تعالى بالخلوة والعبادة حتى تصفو النفس وتتجرد من علائق المادة بحيث يكون لهذه النفس خواص ثلاث :

١- أن يكون لها اطلاع على المغيبات .

٢- أن يظهر منها الأفعال الخارقة للعادة .

٣- أن ترى الملائكة بصورة مجسمة محسوسة وتسمع منهم كلامهم (٢) .

---

(١) الإنصاف ص ٦٣ .

(٢) انظر: المواقف . الأيجى ص ٢٢٧ ومابعدها .

أما بالنسبة للشرط الأول وهو اطلاعها على المغيبات فلقد قالت الفلاسفة إن النفس متى تجردت من علائق المادة وصفت فإنها تصعد لتلقى بمثيلاتها من النفوس العالية التى ينتقش فيها صور ما يحدث فى هذا العالم فتشاهد هذه النفس الإنسانية هذه الصور المنقوشة ثم قالوا إن هذا ليس بمستبعد فإن ذلك يحصل للنائم والمريض فيطلعون على مغيبات ثم يخبرون بها فمن باب أولى يحصل ذلك لمن صفت نفسه حتى أصبحت مثل النفوس العالية وعلى ذلك يمكن لهذه النفس أن تطلع على جميع المغيبات المنقوشة فى مثيلاتها .

وأما بالنسبة للشرط الثانى وهو القدرة على الإتيان بالأفعال الخارقة للعادة أن النفس ليست حالة فى البدن وإن كانت متصلة به اتصال العاشق بالمعشوق إلا أن لها تأثيرا فى الأبدان بالانقياد والطاعة لها كما يشاهد ذلك من احمرار الوجه عند الخجل واصفراره عند الوجل وسخونة الجسم عند الغضب وما ذلك إلا من تأثير النفس فى البدن وإذا كانت إرادة هذه النفس وتصوراتها مؤثرة فى البدن فلا يبعد أن تقوى نفس الرسول بحيث تنقاد لها هيولى العناصر فتؤثر فيها حتى تحدث بتلك الإرادة رياح وزلازل وغير ذلك من

الخــوارق وإذا كان ذلك حاصلا لبعض الصلحاء الزاهدين فمــن باب أولى يحصــل ذلك للرسول .

وأما بالنسبة للشرط الثالث وهو رؤية نفس الرسول للملائكـــة بصورة مجسمة محسوسة بحيث يسمع كلامهـم فى اليقظة أن النفـــس متى تجردت عن الشواغل فإنها تنجـذب إلى العالم العلوى المجــرد ويسهل عليها أن تشاهد المعقول كما تشاهد المحسوس وقد يحصــل مثل ذلك للنائم لتجرد نفسه وانجذابها إلى العالم العلوى وحينئــذ تشاهد أشخاصـا يتكلمون بكلام دال على معان حاصلة فعــلا (١) .

الرد على الفلاســفة

لقد كان لأهل الحق موقف من آراء الفلاســفة فى الرسالـــــة ويتلخص هذا الرد فى نقض الشروط الثلاثة التى ذكروها لخواص النفس

فبالنسبة للشرط الأول فقد تصـدى له أهل الحق قائلين : إن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لايكون منه اطلاع على جميع المغيبات وذلك باتفـاق منا ومنكـم ولذلك يقول الحق ـ جـل وعلا ـ للرسول ـ عليه الصـلاة والسلام : " .. ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخــير

---

(١) انظر : محاضرات فى التوحيد لفضيلة الشيخ صالح شرف ص٦ .

وما مسنى السوء..."[1] إذ الاطلاع لايكون إلا بإذن من الله عز وجل.

قال تعالى "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول.."[2] وأنه متى كانت النفس عند صفائها تطلع على المغيبات كما قال الفلاسفة فإنه يحصل لغير الرسول فلا يتميز الرسول من غيره ويختلط الأمر على الناس .

أما بالنسبة للشرط الثاني فإن كلامهم فيه مبنى على وجود مؤثر غير الله تعالى مع أنه قد قام الدليل العقلى على انفراد الله بالتأثير فى كل شىء وأنه لا مؤثر غيره سبحانه وتعالى ، ويضيفون إلى هـــذا قولهم :إننا لو سلمنا للفلاسفة ما قالوه لما تميز الرسول عن غيره لأنهـم قالوا إن الإتيان بالخوارق يمكن للصلحاء الزاهدين المنقطعيـن إلـى الله بالخلـوة والعبـادة .

وأما بالنسبة للشرط الثالث فقد قال أهل الحق هذا تلبيس منكم ومغالطة لأنكم لاتقولون بملائكة يرون ويُتكلم معهم لأن الملائكة عندكم نفوس مجردة إما متعلقة بأفلاك فتكون نفوسا علوية ، وإما متعلقة بعقول مجـردة ذاتا وفعلا وتسمى بالملأ الأعلى وعلى كل فلا كلام لهم يسمع لأن ذلـك من خواص الأجسام على أن مايحصل للنائم من تخيلات وأوهام لا حقيقـة له فى الخـارج .[3]

---

(١) جزء الآية (١٨٨) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٢٦) وجزء الآية (٢٧) من سورة الجن .

(٣) المرجع السابق ص ٧ .

الوحـــــى

الوحي لغة :

الإعلام بالشيء سرا ، سواء كان بالإشارة أو الكتابة أو الرسالـــة أو الالهام أو الالقاء إلى الغـــير (١) .

والوحي لايكون إلا للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وقد يكـــون لغيرهم لكن بمعان أخر كما ورد في بعض آيات القرآن الكريم .

قال ـ تعالى ـ : " وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي.. " (٢)

فالوحي هنا بمعنى الأمر ، أي أمرت الحواريين وكقوله ـ تعالى ـ :

" وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليـــم ولا تخافي ولاتحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين " (٣) .

وقال ـ تعالى ـ : " .. فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشـــيا " (٤)

وهنا الوحي بمعنى الإشارة أي فأشار إليهم .

وقال ـ تعالى ـ : " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون " (٥) فالوحي هنا بمعنى التسخير ، أي سخر

---

(١) انظر : لسان العرب مادة (وحى)

(٢) جزء الآية (١١١) من سورة المائدة (٣) الآية (٧) من سورة القصص

(٤) جزء الآية (١١) من سورة مريم .

(٥) الآية (٦٨) من سورة النحل .

ربك النحل لتتخذ من الجبال بيوتا .

وقال _ عز وجل _ : " إن هو إلا وحي يوحى "(١) وهو هنا بمعنى الموحى به وهو القرآن الكريم حيث أوحى به من عند الله إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

الوحي شرعا :

عرف بتعريفات كثيرة وفقا لاعتبارات اعتبرها العلماء ، فمن نظر إلى الوحي كمصدر عرفه بأنه هو التعليم السري الصادر من الله تعالى إلى أنبيائه بواسطة أو بغيرها .

ومن نظر إلى المعنى الحاصل بالمصدر عرفه بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع يقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ومن نظر إليه باعتبار الموحى به عرفه بأنه هو كلام الله المنزل على أنبيائه _ عليهم الصلاة والسلام _ .

---

(١) الآية (٤) من سورة النجم .

طــرق الوحـــــى

للوحى الإلهى طرق أربع نذكرها فيما يلى :

١ـ أن يكلم الله النبى بدون واسطة ، كما حدث لسيدنا محمـــد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الإسراء والمعراج فى إحدى مراحل هذه الرحلة ،وكما حدث لموسى ـ عليه السلام ـ فى طور سيناء .

ويمكن أن يدخل تحت الكلام بدون واسطة ما يكون من وراء حجاب فقد سمع موسى ـ عليه السلام ـ الكلام ولم ير المتكلم ومن شدة الوجد تصور أنه قادر على رؤيته فسأل ربه قائلا : " .. رب أرنى أنظر إليك .. " (١) .

٢ـ أن يكلم الله النبى بواسطة الملك ومن هذا النوع نزول القرآن الكريم ،فقد نزل على لسان جبريل ـ عليه السلام ـ .

والوحى بواسطة الملك يكون فى صور متعددة :

أ ـ أن يرى النبى الملك على صورته الأصلية ويتعلم منه ما جاء إليه كما حدث لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أول لقاء له بجبريل ـ عليه السلام ـ فى غار حراء ،حين قال له اقرأ ...

---

(١) جزء الآية (١٤٣) من سورة الأعراف .

ب - أن يراه في صورة بشر كما رؤى جبريل - عليه السلام - في صورة دحية الكلبي .

حـ - أن لا يرى الملك عند الوحي لا في صورته الأصلية ولا في صورة أخرى وإنما يسمع عند قدومه صوتا خفيفا أو شديدا فيأخذ عنه وهو موقن أن ما ألقى إليه من عند الله - تعالى .

٣- الإلهام : هو أن يلقى في قرار النبي ما أراده الله - تعالى - كحديث " إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب " .

٤- الرؤيا في المنام ، كما حدث لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - حين قال لولده إسماعيل فيما يحكيه عنه القرآن الكريم : (يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر)(١) .

في هذه الآية الكريمة اعتبر إسماعيل رؤيا أبيه وحيا بمثابة أمر صادر له من الله واجب التنفيذ حيث لم يقل ياأبت افعل ما رأيت في منامك ولكن افعل ماتؤمر فرؤياك أمر أي وحي .

ويؤيد ماذكرناه من مجيء الوحي في صور متعددة مايلي :

أن الحارث بن هشام سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) جزء الآية (١٠٢) من سورة الصافات .

فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحيانا مثل صلصلة الجرس وهذا أشد علىّ فيفصم عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول .

قال - تعالى - : " وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء "(١) .

إمكان الوحي :

الوحي ممكن لأن العقول لاتجد مانعا من أن الله يصطفى أفرادا يؤهلهم لتلقى الوحي وتبليغ ما أوحى إليهم .

وإمكان حصوله يتحقق بأحد أمرين :

الأول : التلقى دون واسطة .

الثاني : وجود واسطة بين الله والموحى إليه .

أما عن الأمر الأول وهو التلقى دون واسطة من غير فكر وترتيب مقدمات فلا مانع منه بعد أن علمنا أن مراتب الإدراك فى البشر متفاوتة وأن نفس النبى حفت بأصل فطرته وخصها الله بكمالات هيأتها لعلم حقائق الأشياء من غير أن تتقيد بطريق مألوف فتفهم صوت الملك وتقوى على مشاهدة صورته الأصلية .

---

(١) جزء الآية (٥١) من سورة الشورى .

وأما عن الأمر الثاني وهو وجود ملائكة تبلغ الوحي - أي واسطة بين الله والموحى إليه - فقد دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة ٠

دليل وقوعه :

أما دليل وقوع الوحي وحصول الرسالة فدليله مختلف بالنسبة لمن عاصر النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن لم يعاصره ٠

أما بالنسبة لمن عاصروه فدليلهم المعجزات التي شاهدوها على يدى النبي - صلى الله عليه وسلم - والذى كان حالها شاهد صدق على أنه موحى إليه ٠

وأما هؤلاء الذين لم يعاصروه - صلى الله عليه وسلم - فدليل وقوع الوحي بالنسبة لهم الخبر المتواتر وأخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ٠

هذا ولا يزال وسيظل القرآن الكريم معجزة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائما وشاهد صدق على وقوع الوحي حتى يقوم الناس لرب العالمين ٠

المعجـــــزة

تعريف المعجزة :

المعجزة لغة : مأخوذة من العجز أو من الإعجاز وكلاهمـــا ضد القدرة ، والتاء في آخرها زائدة للمبالغة في عجز المرسل إليهـم عن الإتيان بمثلها .

المعجزة اصطلاحا : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة أو الرسالة تصديقا له مع عدم المعارضة .(١)

شروط المعجـــزة :

١- أن تكون أمرا لله تعالى (سواء كان هذا الأمر قولا أم فعلا أم تركا) ليظهر أمام أعـين المعارضين الجاحدين أن الله يصدق من ظهرت على يديـه المعجـزة .

٢- أن تكون خارقة للعادة لأن الإعجاز لا يتحقق إلا بذلك ، والعـادة هي ما اعتـاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى فلو قال مثـلا آية صدقي طلوع الشمس من المشرق وغروبها من المغرب لم تكـن هذه معجزة ، ولأنها لو لم تكن كذلك (أي خارقة للعادة) لأمكن للكاذب ادعاؤها وبذا يخرج السحر والشعوذة وغرائب المخترعات .

---

(١) انظر : شرح البيجوري على الجوهرة ص١٥٧ ومابعدها .

٣– أن تكون على يد مدعي للنبوة أو الرسالة ،ليعلم الناس أن الذى أرسله يصدقه ،ويخرج بهذا الشرط أربعة أشياء :

أ– الكرامة : أمر خارق للعادة يظهره الله – تعالى – على يد عبد ظاهر الصلاح (الولى) كإتيان صاحب سيدنا سليمان – عليه السلام – بعرش بلقيس من مسافة بعيدة فى زمن قصير .

ب – المعونة : أمر خارق للعادة يظهره الله – تعالى – على يد العوام تخليصا لهم من شدة .

حـ – الاستدراج : أمر خارق للعادة يظهره الله – تعالى – على يد فاسق مدعي للألوهية خديعة له ومكرا به .

د – الإهانة : أمر خارق للعادة يظهره الله – تعالى – على يد فاسق مدعي للنبوة تكذيبا له كما وقع من مسيلمة الكذاب فقد تفل فى عين أعور أملا فى برئها فعميت العين السليمة .

٤– أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة ، لأن المعجزة بمثابة شهادة من الله – تعالى – بصدق المدعى ، والشهادة لاتتقدم على الدعوى وخرج بذلك الإرهاص وهو ما كان قبل النبوة أو الرسالة تأسيسا له كإظلال الغمام له – صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة .

٥– أن تكون موافقة للدعوى ،فيخرج بذلك ما إذا كانت مخالفة

للدعوى كما إذا قال آية صدقى انفلاق البحر فانفلق الجبل كالإهانة كما حدث من مسيلمة الكذاب .

٦- ألا تكون مكذبة له ، فيخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة كما لو قال معجزتى نطق هذا الجماد فنطق مكذبا له .

٧- أن تتعذر معارضته لأنه لو أمكن المعارضة لأمكن للكاذب ادعاء النبوة .

يضاف إلى ما تقدم ألا تكون فى زمن نقض العادات ، كالخوارق التى تصحب قيام الساعة كطلوع الشمس من المغرب فإن ما يحدث فى ذلك الوقت لايعتبر معجزة .

إمكان المعجزة :

المعجزة من الممكنات بمعنى أن وقوعها داخل فى دائرة الإمكان ، ودليل إمكانها الوقوع . فقد وقعت بالفعل خوارق حسية جرت على يد الأنبياء السابقين وتواتر نقلها بما لايدع مجالا للشك فيها .

وهنا يرد تساؤل :

مؤداه أن المعجزات الحسية تلزم من شاهدها (أى من شاهد وقوعها) على يد النبى فى ذلك العصر. أما غيرهم الذين لم يشاهدوها .

فما هو سبيلهم الى الاقتناع بوقوعها ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول :-

دليلهم : إن القرآن الكريم قد ذكر بعض الخوارق منسوبة إلى الأنبياء السابقين ، ولما كان القرآن قد نقل إلينا بطريق التواتر فإن النقل يصبح حجة يفيد اليقين ، وعليه تكون المشاهدة كافية فى اليقين للمعاصرين لهذا النبى أو ذلك ، والتواتر كافٍ فى الإخبار إذ هذا بدوره يفيد اليقين بالنسبة لمن وجدوا بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

أقسام المعجزة :

تنقسم المعجزة إلى :

أ — ترك : كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام — قال تعالى:- "يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم" (١) فقد تركت النار خاصيتها وهى الإحراق بقدرة الله — تعالى — .

ب — فعل : كأن يصدر عنه ما لا يكون فى استطاعة غيره إيقاعه لعدم تأييده ، بقدرة الله — سبحانه وتعالى — كنبع الماء من بين أصابع النبى — صلى الله عليه وسلم — .

---

(١) جزء الآية (٦٩) من سورة الأنبياء .

جـ - قول : كالقرآن الكريم .

دلالة المعجزة :

المعجزة تدل يقينا على صدق الرسول غير أن هناك اختلافا في وجه دلالتها على صدق الرسول جاء على ثلاثة أقوال :

القول الأول : قيل إنها دلالة وضعية وذلك كدلالة الألفاظ على معانيها إذ هي بمنزلة قوله تعالى " صدق عبدى فيما يبلغ عنى " ومن هنا كانت الاستحالة في ظهورها على يد الكاذب لما يلزم عليه من كذب الإله وهو محال .

القول الثاني : قيل إنها دلالة عقلية ، لأنه - تعالى - منزه عن تصديق الكاذب إذ تصديق الكاذب كذب والكذب على الله محال ، فخلق الأمر الخارق للعادة مقارنا لدعوى الرسالة وتحدى القوم والعجز عن معارضة القوم لذلك ، يدل عقلا على تصديق الله له فلو كان كاذبا ماصدقه الله .

القول الثالث : قيل إنها دلالة عادية لأن العادة جرت بأن يفضح الله الكاذب ولايصدقه كما حدث لمسيلمة الكذاب وأمثاله (٢) .

---

(١) انظر : العقيدة الإسلامية في ضوء النقل والعقل والقلب للدكتور عبد السلام محمد عبده ص ٣٦٠ ومابعدها .

المعجزة فعل الله سبحانه

اشتهر عند علماء التوحيد أن معجزة كل نبي لابد وأن تكون من نوع ما برع فيه قومه ، فالفصحاء تأتيهم المعجزات من نوع ذلك ، والذين اشتهروا بالسحر تكون معجزات أنبيائهم كذلك ، والذين اشتهروا بالطب تأتي معجزتهم طبية وهكذا .

فإذا نظرنا إلى سيدنا موسى - عليه السلام - نراه قد جاء وظهر بين قوم كانوا نابغين في السحر فأيده الله - سبحانه وتعالى - بمعجزات كثيرة منها قلب العصا حية وانفلاق البحر ونبع الماء من الحجر والمن والسلوى ونتق الجبل وتحويل الماء إلى الدم والقمل والضفادع وغير ذلك .

ولكنا نرى أن الحق خلاف ذلك ، إذ لا علاقة بين المعجزات وبين ما اشتهر عند الأقوام ، فعندما انقلبت العصا على يد سيدنا موسى - عليه السلام - بقدرة الله - تعالى - حية تسعى . هل كان ذلك من قبيل السحر ؟

كلا لأن هناك فرقا بين قلب الجماد إلى كائن حي وبين أعمال السحرة حيث إنهم كانوا يخدعون ويسحرون أعين الناس فيرون العصي والحبال ثعابين وحيات .

والحقيقة أنه كان يخيل إليهم أنها تسعى ويسحرون أعين الناظرين فيرون أن لها حقيقة ولا حقيقة لها فى الواقع •

يقول — تعالى — : (•• يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) (١)

ويقول — تعالى — (قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) (٢) بمعنى أنه " إظهار شيء للإحساس على خلاف حقيقته بوجه من وجوه التمويه " فيخيل للمسحور حيات وثعابين تسعى لكن الواقع خلاف ذلك وهذا التخييل والإيهام يكون فى نفس الرائى وإحساسه فقط •

فالذى برع فيه السحرة لا حقيقة له من حيث الواقع ، وقلب الأشياء إنما هو خفة وسرعة فى حركة اليد يساعد فى إقناع الناس وتأثيره فيهم • تأثير السحرة فى إيهام الناس ، وما هو من قبيل التنويم المغناطيسى •

يقول تعالى (••• سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) (٣) •

فليس هذا الذى نبغوا فيه سحرا لأن له قواعد وأصولا يمكن

---

(١) جزء الآية (٦٦) من سورة طه •

(٢) الآية (١١٦) من سورة الأعراف •

(٣) جزء الآية (١١٦) من سورة الأعراف •

تعلمها وممارستها ، فليس السحر خارقا للعادة وإنما هو أمر غريب غير مألوف بالنسبة لغير المعتادين عليه ، فالسحر أمر عادى بل ومألوف لدى أهله من السحرة .

فإذا ما نظرنا إلى ما ظهر على يد سيدنا موسى - عليه السلام - وهو قلب العصى حية وبين فعل السحرة فإننا نرى أن هناك فرقا بين فعل الله - تعالى - وفعل العبد ، فلو كان سيدنا موسى - عليه السلام - ساحرا مثلهم ما آمنوا به مع علمهم بما سيفعله بهم فرعون إذا آمنوا بموسى - عليه السلام - ولكن السحرة أيقنوا واعتقدوا اعتقادا جازما لا شك فيه أن ما ظهر على يد موسى - عليه السلام - إنما هو معجزة من عند الله - تعالى - لادخل فيها للعبد بأى شئ فهم أدرى الناس بالسحر ، لذلك عندما شاهدوا ما أظهره الله - تعالى - على يديه - عليه السلام - كانوا أول من آمن به .

قال - تعالى - فى شأن السحرة عندما آمنوا بسيدنا موسى - عليه السلام - :(فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى . قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات

والذى فطرنـا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنـا ليغفر لنا خطايـانا وما أكرهتنـا عليه من السحـر واللـه خير وأبقـى) (١) .

ولقد كان لسيدنا موسى _ عليه السلام _ معجزات أخرى منهـا نتق الجـبل فوق بنى إسرائيل ، ونبع الماء من الحجـر ، وشق البحر والمن والسلوى ، وغير ذلك .

فهل كل هذا كـان من نوع ما يـبرع فيه قومـه ؟

الحقيقـة أنه ليس كذلك ، لأنه _ عليه السلام _ وإن جاء بمـا يشبه السحر فليس هذا سحرا على الحقيقـة وإنما هو فعل لله _ سبحانه وتعالى _ إذ قد يتشابـه الشىء فى المظهر من بعيد فيخيل للرائيـن من بعيد أنه من قبيل السحـر والواقع غير ذلك .

ولقد كان لسيدنا موسى _ عليه السلام _ معجزات أخرى منها نتق الجـبل فوق بنى إسرائيل ،ونبع الماء من الحجـر ، وشق البحر ، والمن والسلـوى ، واليد البيضـاء .

قال تعالى : (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقـون) (٢) .

---

(١) الآيات من (٧٠ _ ٧٣) من سورة طـه .

(٢) الآيـة (١٧١) من سورة الأعـراف .

وقال - تعالى - في معجزة نبع الماء من الحجر والمن والسلوى :

(.. وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (١)

وقال - تعالى - (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) (٢)

وقال - تعالى - (واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) (٣)

فهل كان كل هذا من نوع ما برع فيه قومه ؟

الحقيقة أنه ليس كذلك ، لأنه - عليه السلام - وإن جاء بما يشبه السحر فليس هذا سحرا على الحقيقة ، إنما هو فعل للـه سبحانه ، إذ قد يتشابه الشيء في المظهر من بعيد فيخيل للرائين من بعيد أنه من قبيل السحر والواقع غير ذلك .

---

(١) جزء الآية (١٦٠) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٦٣) من سورة الشعراء .

(٣) الآية (٢٢) من سورة طه .

أما معجزات سيدنا عيسى — عليه السلام — فقد روى أن قومه كانوا بارعين فى الطب ولذلك جاءت معجزاته من هذا القبيل فأبرأ الأكمه والأبرص ولكنه مع ذلك تسامى إلى شىء آخر لم يصلوا إليه فأحيا الموتى بإذن الله — تعالى — . فمعجزات الرسل — صلوات الله عليهم وسلامه هى خرق لنواميس وقوانين الكون .

ولقد أيد الله — تبارك وتعالى — سيدنا عيسى — عليه السلام — بمعجزات كثيرة منها إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى ونفخه عليه السلام فى الطين فيصير طيرا بإذن الله تعالى ونزول المائدة من السماء .

قال — تعالى — فى قصة سيدنا عيسى — عليه السلام —:(... وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى ...) (١)

وقال — تعالى —:(قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) (٢) .

فهل كان إبراء الأكمه والأبرص مما نبغ فيه قوم عيسى — عليه السلام — ؟

---

(١) جزء الآية (١١٠) من سورة المائدة .

(٢) الآية (١١٤) من سورة المائدة .

كلا ، إذ إنه وحتى الآن لم يصل الطب إلى علاج مثل هذه الحالات.

وإذا سلمنا وقلنا إنه كان مما نبغ فيه قومه ، فهل كان إحياء الموتى بإذن الله - تبارك وتعالى - على يديه - عليه السلام - مما نبغ فيه قومه ؟ كلا لأن إحياء الموتى فعل لله - عز وجل - انفرد به - سبحانه وتعالى - دون غيره ومعجزة أيد بها سيدنا عيسى - عليه السلام - وشتان بين فعل الله - تبارك وتعالى - وفعل العبد ؟!!

وهل كان نفخه - عليه السلام - في الطين فيصير طيرا بإذن الله مما نبغ فيه قومه ؟ اللهم لا .

وإذا ما أتينا إلى معجزة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فإننا نجد أن الله - تبارك وتعالى - قد أيده بمعجزات كثيرة أهمها وأعظمها القرآن الكريم الذي حفظه الله - تعالى - من التبديل والتغيير .

وبالنظر إلى القرآن الكريم كمعجزة لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - نرى أنه - صلوات الله وسلامه عليه - قد ظهر بين قوم نبغوا في الفصاحة والبلاغة والفصاحة والبلاغة وجه واحد من أوجه إعجاز القرآن الكريم . إذ أوجه إعجازه كثيرة جدا منها الإخبار بالمغيبات وقصص الأمم السابقين ، ومن أوجه اعجازه أيضا

عدم اختلافه وعدم تناقضه مع طوله وامتداده ٠

قال — تعالى — (٠٠٠ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (١)

فهل كان الإخبار بالغيب ، وإظهار قصص الأمم السابقة من نوع ما برع فيه قومه — صلى الله عليه وسلم — ؟ كلا ، فالعرب لم يكونوا بارعين إلا فى وجه واحد من أوجه إعجاز القرآن الكريم ألا وهو لغته الفصيحة البليغة ٠

ولقد كان لسيدنا محمد — صلوات الله وسلامه عليه — معجزات كثيرة منها الإسراء والمعراج ، وانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وتسبيح الحصى ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، وتكثير الطعام، وشهادة الضب بنبوته ، فهل كان هذا من نوع ما برع فيه القوم ؟ اللهم لا ٠

هذا وأثناء حديث البغدادى عن المعجزات بيّن أنها من فعل الله — تعالى — ولم يتناول الحديث عنها بالتفصيل كما أنه لم يذكر الأدلة عليها من القرآن والسنة ، لكنه تناولها عند بيان أنها من فعل الله — سبحانه وتعالى — على سبيل الإيجاز

---

(١) جزء الآية (٨٢) من سورة النساء ٠

ثم عرضها بعد ذلك بالتفصيل .

يقول البغدادي مصورا رأي الأشاعرة : " قال أصحابنا إن أكثر المعجزات من أفعال الله تعالى لا يقدر على جنسها غيره كإحياء الأموات وإبراء الأكمه والأبرص وقلب العصا حية وفلق البحر وإمساك الماء في الهواء وشق القمر وإنطاق الحصى ونبع الماء من بين الأصابع ، ونحو ذلك ، ومنها ما هو خلق لله اختراعا ، وكسبا لصاحب المعجزة كإقداره إنسانا على الصعود إلى السماء وعلى قطع المسافة البعيدة في - اللحظة - القصيرة وعلى إطلاق الأعجمي بالعربية ونحو ذلك مما لم تجر العادة به ..." (١) .

---

(١) أصول الدين ص١٧٦ وما بعدها .

الكـــرامـــة

مادمنا سوف نتحدث عن الكرامة التى هى أمر خارق للعادة يظهر الله على يـد عبد ظاهر الصـلاح فإنه يجدر بنا أن نشير إلى مـــن هو الولـى ؟ ولم سمى بهذا ؟ وماهى الشروط الواجب توافرهــا فيـــه ؟

تعريف الولـى :

الولى هو العارف بالله - تعالى - وبصفاته حسب الإمكان المواظب على الطاعـات المجتنب للمعاصى " بمعنى أنه إذا ارتكب معصية تـاب منها لأنه غير معصـوم " المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهـوات المباحـة (١) .

لم سمى الولى بهـذا ؟

يرجع الباحثون تسمية الولى وليـا إلى سببين :

١- أن الله تعالى تولى أمره حيث لم يكله إلى نفسه هو ولا إلى غـيره لحظة واحدة .

٢- أنه يتولى عبادة الله على الدوام دون أن يتخللها عصيـان دون توبـة .

---

(١) انظر : شرح البيجورى على الجوهرة : ص ١٨٤ .

الشروط الواجب توافرها فى الولــى :

من خلال تعريف الولى نستطيع أن ندرك شروطه وهذه الشروط هــى :

١- أن يكون عارفا بالله - تعالى - وصفاته قدر الاستطاعة .

٢- أن يكون مواظبا على الطاعات مجتنبا للمعاصى .

٣- أن يكون معرضا عن الانهماك فى اللذات والشهوات المباحــة " بمعنى أنه لايتناول منها إلا بالقدر الذى يكفى لبقاء حيــاته وفى غير محــرم " .

تعريف الكـرامة :

الكرامــة هى : " أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبــوة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم المتابعة لنبى كلف بشريعتــه مصحوبا بصحة الاعتقاد والعمل الصالح " (١) .

مذاهب العلماء فى الكرامــة :

اختلف الباحثون فى جواز الكـرامة وعدمها إلى مذهبين :

المذهب الأول : مذهب أهل السنة :

يرى أهل السنة أن الكرامة جائزة عقلا وواقعة فعلا .

---

(١) انظر : شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٨٤ ، الكواشف الجلية عن معانى الواسطية ص ٢٣١ .

أما دليل جوازها : فهو أنه لايلزم من فرض وقوعها محال وكل ماكان كذلك يكون جائزا •

وأما الأدلة على وقوعها فهى نقلية وعقلية نذكر منها مايلى :

من الأدلة النقلية :

١- قصة السيدة مريم : فقد أنبتها الله نباتا حسنا حتى أن الداخل عليها كان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف • قال - تعالى -: " فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب "(١) •

٢- قصة أصحاب الكهف : وهم عدد من أشراف الروم خافوا على إيمانهم من ملكهم بعد عيسى - عليه السلام - فدخلوا غارا ولبثوا فيه ثلاثمائة سنين وتسعا دون طعام أو شراب نياما دون آفة قال - تبارك وتعالى -: " وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ... "(٢) •

---

(١) الآية (٣٧) من سورة آل عمران •

(٢) جزء الآية (١٩) من سورة الكهف •

٣- قصة صاحب سليمان الذى كان عنده علم الكتاب الذى أحضر عرش بلقيس من اليمن إلى بلاد الشام ٠ قال - تعالى - : " ... أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ... " (١) ٠

وأما الدليل العقلى فهو أنها فعل الله - تعالى - على خلاف ما جرت عليه العادة حتى يعرف العبد ثمرة الطاعة وبالتالى تزداد بصيرته بصحة دينه وسلامة عقيدته ٠

المذهب الثانى : مذهب المعتزلة :

ترى المعتزلة عدم جواز وقوع الكرامة ولهم على ذلك دليلان :

١- لو ظهرت الكرامة على يد الولى لالتبس بالنبى لأن كليهما يظهر على يديه خوارق للعادة ٠

ويرد على ذلك : بأنه لا التباس إذ المعجزة مقرونة بالتحدى بخلاف الكرامة ٠

٢- لو ظهرت الكرامة على يد الولى لكثرت بكثرتهم ومن ثم لاتكون خارقة

ويرد على ذلك : بأن الكثرة لاتؤدى إلى عدم خرقها للعادة بل تؤكدها بكثرة الوقوع ٠

---

(١) جزء الآية (٤٠) من سورة النمل ٠

هذا وهناك فروق بين المعجـزة والكـرامة نذكر بعضا منها فيما يلـى :

١- المعجـزة مقرونة بالتحدى بخـلاف الكرامـة .

٢- أن صاحب المعجـزة يجتهد فى أن يشتهر أمره بين الناس وهذا بخلاف الكـرامة إذ أن صاحبها يسعى فى إخفائها وعـدم إظهـارها .

٣- أن المعجـزة يجوز أن تقع بجميع خوارق العادات " من قـول أو فعل أو تـرك " وهذا بخـلاف الكرامـة فإنها تختص ببعـض خـوارق العـادات .

دلائل النبــــــوة

يقصد بدلائل النبوة كل ما يقوم دليلا على صدق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فى دعواه النبوة ،وأنه نبى الله ورسوله حقا وصدقـا ٠

وهذه الدلائل تنقسم إلى أربعة أقسام :

١- سيرته - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة وبعدها ٠

٢- المعجزات التى أيده الله - تبارك وتعالى - بها ٠

٣- ما ورد فى كتب السابقين مما اعتبره العلماء بشارات بمجيئه وبعثته - صلى الله عليه وسلم - ٠

٤- مـآل أمره - صلى الله عليه وسلم ٠

أولا : سيرته - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة وبعدها :

إن من يتتبـع سيرة نبينـا محمد - صلى الله عليه وسلم - قبـل البعثة وبعدها يعلم يقينا أن الله - تبارك وتعالى - اصطفاه من بيـن خلقه أجمعين ليكون نبيا ورسولا والدليل على ذلك ما يأتى :

(أ) ظهور خاتم النبوة بين كتفيه - عليه الصلاة والسلام -٠

روى عن جابر بن سمرة قال : (رأيت خاتما فى ظهر رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم كأنـه بيضة حمـام)(١) ٠

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه ٤/ ١٨٢٢ ٠

(ب) إظلال الغمام له قبل بعثته — عليه الصلاة والسلام — عند خروجه مع عمه أبى طالب فى تجارة إلى الشام (١) .

(ح) تسليم الحجر عليه قبل نبوته — عليه الصلاة والسلام — .

روى عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنى لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلِّمَ عَلَىَّ قبل أن ابعث إنى لأعرفه الآن) (٢) .

فكل هذه الارهاصات تدل على أنه سيكون نبيا مرسلا ،كما تدل أيضا على علو شأنه وارتفاع قدره عند الله — تبارك وتعالى — ولا شك أن مقدمات النبوة هذه تدل دلالة واضحة على أنه سيكون نبيا مرسلا .

لقد كانت سيرته الذاتية بين قومه ،وما اتصف به من الصفات الحميدة كأخلاقه الكريمة وشجاعته وصدقه وأمانته ،حتى لقب " بالصادق الأمين" من هنا امتدحه الله — تعالى — بقوله : " وإنك لعلى خلق عظيم " (٣) وكحلمه وتواضعه وصبره على تحمل الأذى فى سبيل نشر دعوته وغير ذلك من الصفات والأفعال التى كان يتحلى بها رسول الله — عليه الصلاة والسلام — أوضح دليل وأقوى برهان على أنه نبى مرسل لعدم وجودها

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢/٢٤ .

(٢) رواه الإمام مسلم فى صحيحه ٤/١٧٨٢ .

(٣) الآية (٤) من سورة القلم .

إلا فى الأنبياء وإنْ وُجِدَ بعضها فى بعض الأشخاص .

هذا ولقد ظهر النبى - صلى الله عليه وسلم - بين قوم منهم من كان عاكفا على عبادة الأوثان كمشركى العرب ، ومنهم من كان على دين التشبيه وترويج الأكاذيب كاليهود ، ومنهم من قال بالصاحبة والولد ، وبألوهية سيدنا عيسى - عليه السلام - كالنصارى وما من شك أن من ظهر فى مثل هذه الظروف والأحوال لابد وأن يتأثر بمن حوله من عبادة الأصنام وغيرها ، إلا أن عناية الله - سبحانه وتعالى - وقدرته حفظته فلم يسجد لصنم قط ، ولم يشارك العرب عباداتهم وأخلاقهم بل تحلى بكل صفات الكمال ، وجاء - عليه الصلاة والسلام - بكتاب منير وهو القرآن الكريم يدعو إلى الحق وعبادة الله وحده لاشريك له ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ... الخ .

وكان صدق رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - طيلة حياته قبل البعثة وبعدها أحد البراهين التى أقنعت هرقل ملك الروم بصدق الرسول - عليه الصلاة والسلام - حين بعث إليه يدعوه إلى الإسلام ، فعندما سأل هرقل أبا سفيان عن سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - فقال له (هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ...) (١)

---

(١) الحديث بتمامه فى فتح البارى ١/٣١ ومابعدها .

ثانيا : معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد شاءت قدرة اللــه - تعالى - أن يؤيد رسله بمعجــزات تدل على صدقهم في دعواهم الرسالة ، وقد أيد الله تبارك وتعالــى رسولنا الكريم محمــدا - صلى الله عليه وسلم - بمعجزات كثيرة دالــة على صدقه في دعــواه وأنه رسول مبعوث من قبل الله - تعالى -

وهذه المعجزات تنقسم إلى حسية وعقلــية :

أولا : المعجزات الحسية :

المقصود بالمعجزات الحسية مايظهره الله - تعالى - للناس من أمور خارقة للعادة تأييــدا لرسلـه بحيث يراها الناس، وهذه المعجزات لايقدر أحد على معارضتها ، فلقد كان لرسول الله - صلى الله عليــــه وسلم - معجزات كثيرة لاتحصى نذكر منها مايأتي :

١- نبع الماء من بين أصابعه الشريفة :

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : أتى النبي - صلى اللــه عليه وسلم - بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل المـاء ينبع من بين أصابعه فتوضــأ القوم . قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتــم ؟ قال ثلاثمائــة أو زهاء ثلاثمائــة .(١)

---

(١) فتح البـارى ٣٩٦/٧ .

٢- انشقاق القمر :

ثبتت هذه المعجزة في الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة .

أما الكتاب فقد قال - تعالى - : " اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " (١) .

وأما السنة النبوية المطهرة فقد روى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : (انفلق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا) (٢)

قال القاضي عياض : " أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه " (٣) .

ولقد قال - سبحانه وتعالى - على نسق الكلام السابق :

" ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تُغْنِ النذر " (٤)

وكان هذا الحديث بشأن تكذيب الكفار الأخبار عن قصص الأمم المكذبة بالرسل ، وما حل بهم من العقاب والعذاب مما يتلى في هذا القرآن وتمادى المشركين في الإنكار والكذب ومع كل هذا

---

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة القمر . (٢) سنن الترمذى ٣/ ٣٣٢

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٢٣٧ .

(٤) الآيتان (٤، ٥) من سورة القمر .

لم تُغْنِ النذر .

وكذلك كان القول فى معجزة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى انشقاق القمر ، وهذا الإخبار من الله تعالى " لايقال فيما لم يقع ولم يكن (١) لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ : " أخبر بإعراضهم عن آياته والإعراض الحقيقى عنها لايتصور قبل وقوعها " (٢) فلو لم ينشق القمر على عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يشاهده كفار مكة لكذبوه وصار تكذيبهم له حدثا هاما تتناقله الألسنة والأقلام .

٣ ـ حنين جذع النخلة :

روى البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ (أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار ـ أو رجل ـ يارسول الله ألا نجعل لك منبرا ؟ قال " إن شئتم " فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضمها إليه تئن أنين الصبى الذى يسكن قال : " كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها ") (٣) .

وروى البخارى أيضا بسنده عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ

---

(١) تثبيت دلائل النبوة : القاضى عبد الجبار ١/٥٦ ومابعدها .

(٢) اظهار الحق : رحمت الله الهندى ٢/٥٤٠

(٣) صحيح البخارى ٣/١١٠٨ كتاب المناقب .

(كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه) (١) .

٤- تسبيح الحصى :

عن أبى ذر - رضى الله عنه - : (تناول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبع حصيات فسبحن فى يده حتى سمعت لهم حنينا ثم وضعهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم وضعهن فى يد عمر فسبحن ثم وضعهن فى يد عثمان فسبحن) (٢) .

ومع أن كل معجزة من هذه المعجزات لم تثبت تواترا ، إلا أن مجموعها يفيد العلم قطعا لاختصاصه بخوارق العادات ، كما أن أخبار كرم حاتم لم يثبت تواترا إلا أن مجموعها يفيد العلم الضرورى بسخائه ، وكذلك القول فى جسارة أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - ، وشجاعته ، وأما انشقاق القمر فقد أنبأت عنه آية من كتاب الله ثبت نقلها تواترا (٣) .

---

(١) صحيح البخارى ١١٠٨/٣ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤٣٢/٦ .

(٣) انظر : الإرشاد ص ٣٥٣ ومابعدها .

أقسام معجزات رسول الله عليه الصلاة والسلام :

معجـزات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تنقسم إلى قسـمين : حسية وعقلـية •

أما الحسية فثلاثـة أقسام :

١ـ أمور خارجة عن ذاته مثل انشقاق القمر ،وحنين الجذع إليـه ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ،وإظلال السحاب له قبل بعثته واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل •

٢ـ أمور فى ذاته مثل ما كان من الخاتم الذى كان بين كتفيه ،والنـور الذى كان ينتقل من أب لأب إلى أن خرج إلى الدنيا ،وما شوهـد من خلقته وصورته التى يحكم علم الفراسة بأنها دالة على نبوته •

٣ـ أمور تتعلق بصفاته كصدقـه الذى شهد به أعدى أعدائه وأمانتـه وزهده ، وشفقته ورحمته بأمته وزهـده ، وفصاحته وبلوغـه الغاية القصوى فى الكمال وفى الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة •

أما الأمـور العقلية فهى ستة أقسام :

١ـ أنه ظهر بين قبيلة لم تكن من أهل علم ، ولم يشتهر فى بلد ، أحـد من العلماء ، ولم يسافر إلى الخارج إلا مرتين للتجـارة فى الشام •

٢ـ أنه لم يكن مشغولا بأمر النبوة قبل البعثـة ولم يجر هذا الأمـر على

لسانه ،ولم يتحدث عن النبوة حتى سن الأربعين .

٣- ورود البشارة بـه فى التـوراة والإنجيـل .

٤- أنه كان مستجاب الدعوة ،فقد دعا -عليه الصلاة والسلام- لابن عباس -رضى الله عنه- أن يفقهـه فى الدين وأن يعلمـه التأويـل ، ودعا على كسرى حين مزق رسالته أن يمزق اللـه ملكـه وقد كـان .

٥- أنه -عليه الصلاة والسلام- تحمل المتاعب فى أداء الرسالـة لا طمعا فى جاه أو مال ، وإنما تضحية فى سبيل تبليغ الرسـالة وأداء الأمـانة .

٦- إخباره عن الغيـوب وصدقه فيما أخبر بـه كقوله لعمار : (تقتلـك الفئـة الباغية) وقوله أيضا (مالهم وعمـار يدعوهم إلى الجنـة ويدعـونه الى النار) إلى غير ذلك .(١)

---

(١) انظر : إيثار الحق على الخلق ص٧٩ ومابعدها .

ثانيا : المعجزات العقلية :

هذا النوع من المعجزات يتمثل في معجزتين إحداهما الإسراء والمعراج والثانية القرآن الكريم المعجزة الخالدة الباقية إلى قيام الساعة .

١ـ الإسراء والمعراج :

الإسراء والمعراج معجزة من معجزات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ تعالى ـ : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير "(١) .

والإسراء والمعراج كانا فى اليقظة بالروح والجسد معا ، لأن الله ـ تبارك وتعالى ـ قال " سبحان الذى أسرى بعبده " والعبد لا يطلق إلا على الروح والجسد معا .

ومما ورد فى السنة النبوية المطهرة عن الإسراء ماروى عن جابر ابن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه)(١)

---

(١) الآية (١) من سورة الإسراء .

(٢) فتح البارى ١٩٦/٧

ومما ورد عن المعراج قوله - تعالى - : " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى • عندها جنة المأوى • إذ يغشى السدرة مايغشى مازاغ البصر وما طغى • لقد رأى من آيات ربه الكبرى "(١)

٢- القرآن الكريم :

هو اللفظ العربى المنزل على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه • وهو المعجزة العقلية التى تكفل الله بحفظها الى قيام الساعة •

قال - تعالى -: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "(٢)

والقرآن الكريم فى مقدمة معجزات الرسول - عليه الصلاة والسلام - لعدة وجوه منها :

١- بقاؤه بعد وفاته بينما معجزات غيره من الأنبياء لم تبق بعد وفاتهم •

٢- استنباط جميع أحكام الشريعة منه وغيره من المعجزات خالٍ عن ذلك •(٣)

وسوف أتناول إعجاز القرآن الكريم عند الحديث على أوجه اعجازه إن شاء الله •

---

(١) الآيات (١٣ : ١٨) من سورة النجم •
(٢) الآية (٩) من سورة الحجر •
(٣) انظر أصول الدين ١٨٣

ثالثا : بشارة الكتب السماوية على لسان الرسل السابقين - عليهم السلام :

فلقد أخبرت التوراة عن مجيئه حيث ورد فيها : (جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران) (١)

ومعنى ذلك كما يقول الإمام ابن كثير : أن الله جاء شرعه ونوره من طور سيناء الذى كلم عليه ، وأشرق من ساعير ، وهو الجبل الذى ولد فيه ، واستعلن من فاران ، وهى مكة بدليل أن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن يذهب بإسماعيل إلى جبال فاران كما ذكرت أسفارهم .

وقال الحافظ ابن كثير : وقد استشهد بعض العلماء على صحة هذا بأن الله - سبحانه - أقسم بهذه الأماكن الثلاثة فترقى من الأدنى إلى الأعلى فى قوله - تعالى - " والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين " (٢) ففى التوراة ذكرها بحسب الوقوع الأول فالأول ، وبحسب ما ظهر فيها من النور وفى القرآن لما أقسم بها ذكر منزل عيسى ثم موسى ، ثم محمد - صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين - ، لأن عادة العرب إذا أقسمت ترقت من الأدنى إلى الأعلى (٣) .

---

(١) سفر التثنية : ١٨/١٧ : ٢٢ .

(٢) الآيات (١، ٢، ٣) من سورة التين .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٢٦/٤ ومابعدها .

وصدق الله العظيم : " .. فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " (١) .

وقد أخبر القرآن الكريم عن عيسى - عليه السلام - أنه قال لقومه : " ... إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ... " (٢) .

فهذه بشارة ثابتة بالنص سواء تضمنتها الأناجيل المتداولة أم لم تتضمنها لأن الطريقة التى أحاطت بها لاتجعلها هى المرجع فى هذا الشأن .

ولقد صرح بذلك إنجيل " برنابا " فى نصوص صريحة ، إلا أن النصارى لايعترفون بهذا الإنجيل بسبب تصريحه ببشارة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

فقد ورد فى إنجيل " برنابا " على لسان عيسى - عليه السلام - :

" أن الآيات التى يفعلها على يدى تُظهر أنى أتكلم بما يريد الله ، ولستُ أَحْسَبُ نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لستُ أهلا لأن أحلّ رباطات أو سيُور حذاء رسول الله الذى يسمونه " مسِّيا " الذى خُلِقَ

---

(١) جزء الآية (٨٩) من سورة البقرة .

(٢) جزء الآية (٦) من سورة الصف .

قبلى ، وسيأتى بعدى بكلام الحق ولايكون لدينه نهايــة " .

ويقول الدكتور خليل سعادة : " إنَ المراد فى " مسِّيا " محمــد ــ صلى الله عليه وسلم ــ " ويقول : إن " بونابــا " ذكر " محمدا " ــ صلى الله عليه وسلم ــ باللفــظ الصريح فى عــدة فصول ، ووصفه بأنه رســول الله ، وذكر أن آدم لما طُـرِد من الجنة رأى سطــورا كُتِبت فوق بابهــا بأحــرف من نور : (لا إله إلا اللــه محمد رسول الله) وليس القـــول قول " برنابا " إنما هو قول " عيسى " ــ عليه السلام ــ " (١) .

ومما هو جدير بالذكر أن نشير إلى أننا إنما نذكر هذه البشــارات من باب الاستدلال على الخصم بما هو مسلم عنده ، وليس لأننا نؤمـــن بأن هذه الكلمــات التى استدللنا بها هى كــلام الله الحق فقد طاشت أيدى اليهــود فى كتاب الله (التــوراة) بالتحــريف والتبديل والعبث ولم يعثر أحــد على إنجيل عيسى ــ عليه السلام ــ الذى أنزله الله عليه ، لذلك فقــدت الثقــة وذهب اليقين بكل هذه الكتب وهنا يجــب أن نفرق بين أمرين فى هذا المقــام :

الأمــر الأول : الإيمان بأن هناك بشارات بشر بها الرسل السابقـــون أممهم ببعثة محمــد ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

---

(١) نظرات فى إنجيل برنابا : محمد على قطب ص ٦٠ وما بعدهـــا ترجمة د / خليل سعادة .

الأمر الثاني : أن هذه البشارات بنصها فعلا فنحن نؤمن بها فالله -سبحانه وتعالى- بشر ببعثة محمد - عليه الصلاة والسلام - على ألسنة الرسل وأثبت ذلك في كتبهم .

يقول الله - تعالى - : " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم " (١)

ويقول - سبحانه وتعالى - على لسان عيسى - عليه السلام - :

" .. ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " (٢) .

وما دمنا قد تحدثنا عن البشارات في كتب اليهود والنصارى ، فإن المقام يقتضينا أن نتكلم عن إنجيل من الأناجيل التي رفضها النصارى ، وهو أصدقها - عندنا - وأولاها بالقبول مع ملاحظة أن أفعل التفضيل هنا ليس على بابه وهذا الإنجيل صادق في كثير مما جاء به وكاذب في أمور أخرى يقينا .ولعل السبب في رفض النصارى إياه هو ما ورد فيه من صدق لا يتفق وما درجوا عليه من الكذب والافتراء الذي تمثله الأناجيل المعتمدة لديهم ، وهذا الإنجيل هو ما سبق الحديث عنه على لسان الدكتور خليل سعادة ألا وهو إنجيل برنابا .

---

(١) جزء الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٢) جزء الآية (٦) من سورة الصف .

رابعا : مـآل أمره صلى الله عليه وسلم :

إن رسولنا - عليه الصلاة والسلام - جاءته النبوة وهو على رأس الأربعين حيث نزل عليه جبريل الأمين بكلام الله رب العالمين ، وبلغه هذا القرآن العظيم ، فقام بالدعوة خير قيام ، وضحى فى سبيلها أعظم تضحية ، وتحمل من الآلام والمشقات ماتعجـز عن تحمله أقوى النفـوس البشرية ، فكان له النصر ، وحق له الظفر ، وتمت له الكلمة ، وقرت عينـه بانتشار دعوته فى حياته ، قال - تعالى - : " ... اليوم أكملت لكـم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ..." (١) فاطمأنـت نفسه إلى ظهور دينه على جميع الأديـان تحقيقا لوعد الله له وصـدق الله العظيم القائل فى محكم كتابـه : " هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـه ولو كره المشركـون" (٢) .

---

(١) جزء الآية (٣) من سورة المائدة .

(٢) الآيـة (٣٣) من سورة التوبـة .

أوجـه إعجـاز القرآن الكـريم

أوجه إعجاز القرآن الكريم لاتقع تحت حصر ، وسوف نذكر منها مايلي :

١ـ الإخبار عن المغيبات إذْ[1] لا طريق إلى معرفته إلا عن طريق القرآن الكريم ،وهناك آيات كثيرة تحدثت عن الإخبار بالغيب منها قولـه ـ تعالى ـ: " ألم • غلبت الروم • في أدنى الأرض وهم من بعـد غلبهم سيغلبون • في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئـذ يفرح المؤمنـون"[2] وقد وقع الأمـر كما أخبر ـ سبحانه وتعالـى ـ فلقد راهن المشركون أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ على تحقق ذلـك وصدق الله ـ تعالى ـ وعـده •

وقوله ـ تعالى ـ : " هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهـيدا "[3] وكان كما قال سبحانه وتعالى• وقوله ـ تعالى ـ : " سيهزم الجمع ويولون الدبـر "[4] فقد انهزم المشركـون وولوا الأدبار يوم بدر ، وقد نزلت هذه الآيـة

---

(١) انظر : إعجاز القرآن للباقلاني ص١٢

(٢) الآيـات ١ : ٤ من سورة الـروم •

(٣) الآيـة (٢٨) من سورة الفتـح •

(٤) الآيـة (٤٥) من سورة القمـر •

بمكة حيث لم يكن هناك أي مجال لفكرة الحرب أصلا ، حتى أن عمر - رضى الله عنه - قال لما سمع الآية كان يقول أي جمع هذا ؟ قال عمر - رضى الله عنه - فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولها .

فهذه الأمور كلها من قبيل المغيبات ولا شك أن الإخبار بها دليل على صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما أخبر به .

قال - تعالى - : " تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين "(١).

وقال - تعالى - بعد قصة يوسف عليه السلام : " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون "(٢)

وقال - تعالى - فى آخر سورة يوسف : " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون "(٣) .

فهذه المغيبات وكذلك أخبار الرسل السابقين مع أقوامهم وأخبار

---

(١) الآية (٤٩) من سورة هود .

(٢) الآية (١٠٢) من سورة يوسف .

(٣) الآية (١١١) من سورة يوسف .

الأمم الماضية تعتبر كلها بمثابة وَحْيٍ من الله - عز وجل - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وقوله تعالى : " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا "(١) .

فقد وقع الأمر كما أخبر - سبحانه وتعالى - وتحققت رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - في العام الذى أتى بعد عام الحديبية .

وقوله - تعالى -: " .. فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين "(٢) .

فإنهم قد امتنعوا عن المباهلة ولو قبلوا لاضطرمت عليهم الأودية نارا كما ذكر في الخبر .

وقوله - تعالى -: " قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين "(٣) .

---

(١) الآية (٢٧) من سورة الفتح .

(٢) جزء الآية (٦١) من سورة آل عمران .

(٣) الآيتان (٩٤، ٩٥) من سورة البقرة .

وقد مضى عهده - صلى الله عليه وسلم - ومرت القرون تلو القرون وإلى أن تقوم الساعة ولم يثبت أن أحدا من هؤلاء تمنى الموت ولن يتمناه أحد أبدا . ولو تمناه أحدهم لكان القرآن غير صادق ، ولو وقع بهم ماذكره القرآن الكريم . هذا مع حرصهم الشديد على معاداة النبي - صلى الله عليه وسلم - وإظهار كذب القرآن ، لكنهم لم يتمنوه وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صدق القرآن الكريم وإعجازه وصحة ما أوحى به إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

فالقرآن الكريم جاء بمغيبات كثيرة وصدق الله ورسوله فيما أخبر عنه من هذه الأمور الغيبية .

نماذج عن الإخبار عن بعض المغيبات على سبيل التفصيل وأوضح نموذج لهذا الإخبار هو قصص الرسل السابقين مع أقوامهم .

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - كان أميا لايقرأ ولا يكتب ، ولم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وقصصهم وأنبائهم وسيرهم ، ثم أخبر بما وقع وحدث لهؤلاء في الكتاب الذي جاء به معجزة له وهو " القرآن الكريم " من ذلك قصة سيدنا آدم - عليه السلام - ونفخ الروح فيه وإسكانه الجنة ثم خروجه منها وما كان من أمر أولاده وتوبته ، وقصة سيدنا نوح - عليه السلام - ونجاته مع من آمن

به من الطوفان وغرق الكافرين ، وقصة خليل الله إبراهيم - عليه السلام - وغير ذلك كثير .

وهذه الأخبار وغيرها لا يعرفها إلا المؤرخون ، ونبينا - عليه الصلاة والسلام - لم يكن من هؤلاء وإنما حكى هذه الأمور فى القرآن الكريم حكاية من شهدها وحضرها اقرأ قول الله - سبحانه - " وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون "(١) .

وقوله - تبارك وتعالى - : " وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين "(٢) .

وقوله - جل وعلا - : " وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون "(٣) .

٢- أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه فى البلاغة :

فالقرآن الكريم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلام العرب ، ومباين لأساليبهم فى الخطابة والشعر والنثر ، ولهذا لم يكن

---

(١) الآيتان ٤٨، ٤٩ من سورة العنكبوت .

(٢) الآية (٤٤) من سورة القصص .

(٣) الآية (٤٦) من سورة القصص .

فى استطاعتهم معارضتــه ·

فقد ذهب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى إلى أن وجه الإعجــاز كان بالنظم كما ذهب إلى ذلك الباقلانى وعبد القاهر الجرجانى القائل : إن اعجــاز القرآن كان " بنظمــه وأساليبه وافتنــانه على هذه الوجــوه المعجــزة التى أقل ماتوصف به أنها السحر ، بل السحر بعضها ·· "(١)

٣ ـ ماتضمنه القرآن الكريم من الإخبار عن مكنونات الضمائر من غيــر أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل :

كقوله ـ تعالى ـ : " إذ همت طائفتان منكــم أن تفشلا ··· "(٢)

وكقوله ـ تبارك وتعالى ـ : " ··· ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنـــا الله بما نقــول ··· "(٣)

٤ ـ إعجاز القرآن الكريم من ناحية أن قارئه لايكل وسامعه لايمـــل وإن تكررت تلاوتــه ·

٥ ـ عدم اختلافــه وتناقضه مع ما فيه من الطــول ·(٤)

---

(١) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبــوية ص ١٦٤ ومابعدها ·

(٢) جزء الآيــة (١٢٢) من سورة آل عمران ·

(٣) جزء الآيــة (٨) من سورة المجادلــة ·

(٤) المواقــف : الأيجــى ص ٣٥٠ ·

قال - تعالى - : " .. ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ". (١)

٦ - صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس .

٧ - إعجازه من ناحية احتوائه على الأحكام التشريعية التي بها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة .

يقول الأستاذ " محمد رشيد رضا ": إن إعجاز القرآن كان " بالعلوم الدينية والتشريع " . (٢)

هذا ولقد ذكر الدكتور " محمد عبد الله دراز " أوجه الإعجاز وحصرها في ثلاث نواح هي : " ناحية الإعجاز اللغوي ، وناحية الإعجاز العلمي ، وناحية الإعجاز الإصلاح التهذيبي الاجتماعي " . (٣)

فالأحكام التشريعية التي سنها القرآن الكريم لإصلاح الأوضاع وتهذيب الأخلاق ، وصيانة الفرد والمجتمع من الإنحراف ، وتنظيم علاقة الإنسان بربه كل هذا لا يستطيع بشر الإتيان بمثله .

٨ - قيل إن إعجازه كان بالصرفة بمعنى أن العرب كانت قادرة على الإتيان بكلام مثل القرآن قبل البعثة لكن الله صرفهم عن معارضته ،

---

(١) جزء الآية (٨٢) من سورة النساء .

(٢) تفسير المنار ١٧١/١ .

(٣) النبأ العظيم ص ٧٢ .

وقد اختلف فى كيفية الصرف ، فقال أبو اسحاق الإسفرايينى من الأشاعرة ، والنظام من المعتزلة : صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها ، وقال المرتضى من الشيعة بل صرفهم بأن سلبهم العلوم التى يحتاج إليها فى المعارضة يعنى أن المعارضة والإتيان بمثل القرآن يحتاجان إلى علوم يقتدر بها عليها وكانت تلك العلوم حاصلة لهم لكنه تعالى سلبها عنهم فلم يبق لهم قدرة عليها (١) .

ولقد كان فضيلة الشيخ " محمد متولى الشعراوى " موفقا غاية التوفيق عند حديثه عن الإعجاز فى القرآن الكريم ، بالرغم من أنه لم يأت بجديد بل كل ما هنالك أنه ذكر أدلة صادقة تؤكد اتفاق الحقيقة العلمية مع الحقيقة القرآنية .

فقد قال الشيخ الشعراوى : " عندما نزل القرآن كان له أكثر من معجزة تحدى العرب فى بلاغتهم ، ثم مزق حواجز الغيب الثلاثة، مزق حجاب الزمن الماضى وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم ... ثم مزق حجاب المكان ، وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار الذين يحاربون الإسلام وما يبيتون للمسلمين وروى لنا ما يدور داخل نفوسهم ، ولم تنطق به شفاههم ، ولم يجرؤ

---

(١) انظر : شرح المواقف ص١١٧ ومابعدها تحقيق د /محمد بيصار .

واحد منهم أن يكذب القرآن ويقول لم تهمس نفس بهذا ، ثم مزق حجاب المستقبل القريب وتنبأ بأحداث ستقع بعد شهور وأحداث ستقع بعد سنوات ، وتحدى ، وحدث كل ما أنبأ به القرآن . ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد ليعطى الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله " . (١)

وأكد الشيخ الشعراوى على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم مستدلا على ذلك بقول الله – سبحانه وتعالى – : " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ... " (٢) وهذا ليس بجديد .

إنما الجديد هو أن فضيلة – الشيخ – جزاه الله خيرا – قد ضرب نماذج من الحقائق العلمية الحديثة التى تتفق والحقائق القرآنية ليثبت أن القرآن الكريم من لدن حكيم خبير ، وكذلك كان فضيلة الشيخ موفقا فى حديثه عن العلاقة بين مد الأرض وكرويتها عندما قال : " مادامت الأرض مسطحة فلابد أن يكون لها حيز ، فاذا جئت

---

(١) معجزة القرآن ص ٣٨ ومابعدها .

(٢) جزء الآية (٥٣) من سورة فصلت .

فى آخر السطح لابد أن تصل إلى حافة ولكن الله - سبحانه وتعالى - يقول : " والأرض مددناها "[1] ومعنى مددناها أنك أينما ذهبت فوق سطح الكرة الأرضية ، تراها ممدودة أمامك أى منبسطة أمامك ، فإذا ذهبت إلى القطب الجنوبى رأيت الأرض منبسطة ، وإذا ذهبت إلى خط الاستواء وجدت الأرض أمامك منبسطة ، وهذا لايمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية - ثم استنتج من ذلك كله أن - قول الله - سبحانه وتعالى - : "والأرض مددناها " دليل على كروية الأرض "[2] .

ونختتم حديثنا عن أوجه إعجاز القرآن الكريم بما سبق أن قررناه من أن القرآن الكريم آية الآيات ومعجزة المعجزات جديد دائما لايبلى ولا تفنى عجائبه ،وأوجه إعجازه - على الحقيقة لايحصرها أحد ،وستظل دائما على تجدد الأيام نرى من القرآن كل ماهو جديد مما هو معجز فى شتى جوانب الحياة ،من طب ،واجتماع ،واقتصاد .. الخ دون عد أو حصر ،ولاشك أن من آيات إعجازه مايقوم به المسلمون اليوم من عقد اجتماعات ومؤتمرات لدراسة أوجه إعجاز كتاب الله فى شتى الميادين ومختلف المجالات من طب إلى اجتماع إلى اقتصاد وهكذا .

---

(١) جزء الآية (٧) من سورة : ق .

(٢) معجزة القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٤٥ .

المنكرون إعجاز القرآن الكريم

لقد خرجت عن جماعة المسلمين فرق وطوائف أنكروا إعجاز القرآن الكريم في جانب أو أكثر ، بوجه أو أكثر وهم كثير ، إلا أننا سوف نكتفي بذكر أشهرهم :

فقد ذهب النظام من المعتزلة إلى إنكار إعجاز القرآن الكريم من ناحية نظمه وتأليفه وذهب إلى أن إعجازه فقط من ناحية الإخبار بالغيب .

قال النظام : إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة . وإنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب . فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف . وفي هذا عناد منه لقول الله - تعالى - : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(١) .

---

(١) الآية (٨٨) من سورة الإسراء .

ولقد كذبه الله - عز وجل - بأن تحدى المشركين بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات وليس فى الافتراء إخبار بغيب فدل ذلك على أنه إنما أراد به تحقيق إعجازه من جهة النظم والفصاحة .

وذهب أيضا عيسى بن صبيح الملقب بالمردار إلى : أن الناس قادرون على مثل القرآن وعلى ماهو أحسن منه نظما وفى هذا إبطال إعجاز القرآن .

وذهب ابن الراوندى فى كتابه " الدامغ " إلى الطعن فى نظم القرآن ومعانيه ، وارتطم فى إثم القول : " إن فى القرآن سفها وكذبا " .

ولقد انبرى للرد على هذه الآراء الغريبة الخياط والجبائى والجاحظ والخطابى .

فتولى أبو الحسن الخياط وأبو على الجبائى الرد على ابن الراوندى فنقضا ما تورط فيه من الانحرافات فى كتابه " الدامغ " وتولى الجاحظ فى كتابه " نظم القرآن " الرد على النظام فى قوله بالصرفة .

الرد على القائلين بالصرفة

ادعى النظام ومن معه من المعتزلة أن القرآن ليس معجزا في نظمه وتأليفه ، وإنما إعجازه في الإخبار بالغيب ، وأن البشر قادرون على الإتيان بمثله بل بما هو أحسن منه في النظم والتأليف ، ولم يعارضه العرب لأن الله صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به .

والحق أن هذا الرأي غريب وغير معقول ، إذ كيف يصرف الله دواعي العرب عن الإتيان بمثله ثم يتحداهم بعد ذلك ؟ ما أشبه هذا القول بمن قيد شخصا بحيث أصبح مغلول الرجلين واليدين ثم طلب إليه أن يصارعه ، فهل يكون هذا الطلب معقولا آنذاك ؟ ، إن التحدي الحقيقي لا يكون إلا عند توافر الدواعي للمعارضة ، والحرية المطلقة في إبراز عوامل الظهور والتفوق ، وإلا كان التحدي لا معنى له (١) .

لذلك نقرر أن النظام كان غير موفق ، لا من الناحية الدينية فحسب ، وهي التي تقرر أن القرآن معجز ، لخصائصه التي لا تتوفر

لأسلوب سواء ، وإنما من الناحية العقلية أيضا .

فادعاء النظام ومن معه فيه معاندة ومكابرة بالباطل حيث إن العرب لو استطاعوا الإتيان بمثله ، لما كان هناك حاجة إلى الحروب الطاحنة التي دارت بينهم ، مع حرصهم الشديد على المعارضة ، ولو عارضوه لنقل ذلك كما نقلت أخبار مسيلمة الكذاب وغيره في محاولاتهم الفاشلة في معارضة القرآن الكريم .

والله - سبحانه وتعالى - قد علم أزلا عدم استطاعتهم وقد رتبهم على معارضته والإتيان بمثله حتى ولو اجتمع الإنس والجن وتكلفوا في ذلك المشاق والصعاب .

قال - تعالى - : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (١)

قال الخطابي في كتابه " إعجاز القرآن " ردا على دعوى القول بالصرفة : " إن دلالة الآية تشهد بخلافه وهي قوله سبحانه وتعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا

---

(١) الآية (٨٨) من سورة الإسراء .

القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فقد أشار القرآن الكريم إلى أمر طريقة التكلف والاجتهاد ، وسبيله التأهب والاحتشاد والمعنى في الصرفة التي وصفوها لايلائم هذه الصفة فدل ذلك على أن المراد غيرها " .

ومما يبطل أيضا القول بالصرفة :

١ - أن الله - تعالى - لو صرفهم عن المعارضة مع بقاء قدرتهم عليها لعلموا ذلك من أنفسهم بالضرورة وميزوا بين أوقات المنع وأوقات التخلية ، ولو علموا ذلك لتذاكروا فيما بينهم واستغربوه من حالهم ونشر ذلك عنهم ، لكنه لم ينقل عنهم شيء فضلا عن أن ينتشر ، ولا يقال إنهم أخفوا ذلك لئلا تقوم به الحجة عليهم ، لأنا نقول إن من عجز عن شيء كان مقدورا له فإنه لايستطيع عادة إخفاء تعجبه من ذلك .

٢ - لو كان الإعجاز كونهم مصروفين لما استعظم العرب بلاغة القرآن لكنهم استعظموا بلاغته وتعجبوا لفصاحته كما أثر عن الوليد بن المغيرة .

٣ ـ لو كان وجه الإعجاز هو الصرفة لوجد فى كلام العرب قبل نزول القرآن ما يشبه القرآن ، لأنهم لم يكونوا مصروفين قبل نزوله ، ومع هذا لم نجد فى كلامهم ما يشبه القرآن الكريم .

٤ ـ لو كان الوجه فى الإعجاز هو الصرفة على معنى سلب العلوم التى تتوقف عليها المعارضة لكان العرب قبل نزول القرآن أبلغ منهم بعد نزوله وأقوى معرفة وأوسع إدراكا ، لكن حالهم قبل النزول لم يكن زائدا عن حالهم بعد ، وإن لم تكن ناقصة عنه ، فدل ذلك على أن علومهم ومعارفهم لم تسلب منهم .

٥ ـ لو سلبوا القدرة على المعارضة لما كانت هناك فائدة لتحدى الجن والإنس مجتمعين لأنهم حينئذ بمنزلة الموتى ، وعجز الموتى مما لايحتفل بذكره ، ولما تضمن القرآن فضيلة ذاتية عن غيره من سائر أنواع الكلام .

ولقد كذّب الله ـ سبحانه وتعالى ـ دعوى النظام ومن معه من المعتزلة فى دعواهم إتيان العرب بما هو أفضل من القرآن من جهة الفصاحة والنظم فتحدى المشركين بأن يأتوا بعشر سور مثله

مفتريات ولا يكون في الافتراء تحقيق غيب أو الإخبار به كما ادعى النظام من أن وجه الإعجاز فيه هو الإخبار بالغيب فدل ذلك على تحقيق إعجازه من جهة النظم والفصاحة .

وبالرغم من أن القاضي عبد الجبار من المعتزلة يرفضون القول بالصرفة وينقدونه إلا أنه يقول بالانصراف بمعنى أن :

" دواعيهم انصرفت عن المعارضة لعلمهم بأنها غير ممكنة ولولا علمهم بذلك لما انصرفت دواعيهم - أي أنهم - علموا بالعادة تعذر مثله فصار علمهم صرفا لهم عن المعارضة " .

لم يقف الأمر بالنظام إلى حد إنكار إعجاز القرآن الكريم من ناحية نظمه وحسن تأليفه ، بل ذهب إلى أن إعجازه محصور في الإخبار بالغيب ، وذهب إلى أن الناس قادرون على الإتيان بمثل القرآن ، بل وبما هو أبلغ منه في الفصاحة والنظم ، وقد أنكر انشقاق القمر وتسبيح الحصى في يده ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ليتوصل بإنكار معجزات نبينا - عليه الصلاة والسلام - إلى إنكار نبوته .

عقيدة ختم النبوة والأدلة عليهـــــا

لقد دل الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة والاجماع على أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء فلا نبى ولا نبوة بعده ، وأن رسالته هى خاتمة الرسالات السماوية السابقة وأنها عامة لجميـــع المكلفين من الإنس والجـــن فى كل زمـــان ومكان إلى قيام الساعـــة ، وأن نزول عيسى - عليه السلام - آخر الزمـــان إنما ينزل لنصرة شريعة الإسلام فيحيى ما أحياه القرآن ويميـــت ما أماتـــه القرآن ، فشريعـــة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - غير قابلة للنسخ كالشرائـــــع السماوية السابقـــة .

الأدلة من القرآن الكريم على كونـــه خاتم الأنبيـــاء :

١- ماصرح بـــه القرآن الكريم من أن رسالة سيدنا محمد - عليه الصـــلاة والسلام - هى خاتمة الرسالات السماوية السابقة ، وأنه - عليـــه الصلاة والسلام - خاتم الأنبياء والمرسلين .

قال - تعالى - : " ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رســـول الله وخاتم النبيـــن ..." (١)

---

(١) جزء الآيـــة (٤٠) من سورة الأحـــزاب .

٢- ماجاء من النصوص القرآنية مما يفيد عموم رسالته - عليه الصلاة والسلام - قال - تعالى -: " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا "(١) ، وقال - سبحانه وتعالى - : " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون "(٢) وقوله - عز وجل - : " إن هو إلا ذكر للعالمين "(٣)

وكون رسالته - عليه السلام - للناس كافة وكون القرآن الكريم ذكرا للعالمين يدل بوضوح على أن محمدا خاتم الأنبياء ورسالته هي الخاتمة .

٣- النص الصريح على أن الدين الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - هو إكمال للدين وإتمام لنعمة النبوة التي امتن الله بها على الناس وأن الدين الإسلامي بلغ برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - طوره الأخير من الكمال والوفاء بحاجات البشر والصلاحية للبقاء والاستمرار ، وهذا إعلان بانتهاء الرسالات السماوية بنبوة محمد - عليه السلام - ورسالته .

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .
(٢) الآية (٧) من سورة سبأ .
(٣) الآية (٨٧) من سورة ص .

قال - تعالى -: " .. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ..." (١).

وروى الطبري في تفسيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية قال: " أخبر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدا وقد رضيه فلا يسخطه أبدا " (٢).

٤- النصوص الدالة على عناية الله - سبحانه وتعالى - باستمرار هذا الدين وحفظه وبقائه سالما من التحريف والتبديل وتكفل الله - عز وجل - بحفظه من أي عبث أو تحريف يدل على ختم النبوات بسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

قال تعالى: " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا " (٣).

وقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (٤).

وقال - عز وجل - " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون " (٥).

---

(١) جزء الآية (٣) من سورة المائدة (٢) جامع البيان في تفسير القرآن م ٤ جـ ٦ ص ٥١ . (٣) الآية (٢٨) من سورة الفتح .
(٤) الآية (٩) من سورة الحجر .
(٥) الآية (٨) من سورة الصف .

وكون القرآن الكريم مصدقا ومهيمنا يقتضى أنه هو الهداية الثابتة والدائمة وأنه آخر الكتب السماوية إلى يوم القيامة .

٥- إعلان القرآن الكريم أن سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - هو القدوة والأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وإعلان القرآن الكريم هذه القدوة مطلقة عن كل قيد يدل على عمومها زمانا ومكانا .

قال تعالى: " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا "(١) .

---

(١) الآية (٢١) من سورة الأحزاب .

الأدلة من السنة النبوية المطهرة على كون نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء :

في السنة النبوية دلائل كثيرة تثبت كونه خاتم الأنبياء نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- ماجاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين)(١) .

٢ - ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى أبي الطفيل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (لا نبوة بعدي إلا المبشرات . قيل : وما المبشرات يارسول الله قال : الرؤيا الحسنة - أو قال : الرؤيا الصالحة)(٢) .

٣- ما رواه البيهقي عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن لي

---

(١) صحيح الإمام مسلم ١٧٩١/٤ .
(٢) مسند الإمام أحمد ٤٥٤/٥ .

أسماء : أنا أحمد وأنا محمد ، وأنا الماحي ،الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر ، يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب . قال: قلت للزهري : وما العاقب ؟ قال : الذي ليس بعده نبي .(١)

٤- ما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ،ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون) .(٢)

دليل الاجماع :

كما دلت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين . فقد أجمع الصحابة - رضوان الله عليهم - وسائر المسلمين في كل عصر على ختم النبوة بمحمد - عليه الصلاة والسلام - وانقطاع النبوة بعده .

قال الحافظ ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى " وخاتم النبيين .."(٣)

---

(١) دلائل النبوة ١٥٣/١ .

(٢) سنن الترمذي ٤٢/٧ .

(٣) جزء الآية (٤٠) من سورة الأحزاب .

" وقد أخبر الله — تبارك وتعالى — فى كتابه ،ورسوله — صلى الله عليه وسلم — فى السنة المتواترة عنه أنه لا نبىّ بعده ، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده ، فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولى الألباب كما أجرى الله — سبحانه وتعالى — على يد الأسود العنسى باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذى لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله ،وكذلك كل مدعٍ لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال ... "(١).

وقال الطبرى أيضا عند تفسير قوله — تعالى — " وخاتم النبيين " " الذى ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة "(٢)

فمن يدعى النبوة بعد محمد — عليه الصلاة والسلام — فقد أنكر أمرا علم من الدين بالضرورة وهو ختم محمد للرسالات السماوية وإنكاره يستحق التكفير ويستتاب وإلا يباح دمه .

هذا ومما تجب الإشارة إليه فى هذا المقام هو أن ادعاء النبوة لم يقتصر على الماضى وحده ،بل وظلت هذه المسألة تبيض وتفرخ حتى عصرنا الحاضر ولعل أشهر هذه الدعاوى البابية والبهائية والقاديانية .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٩٤ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن م ١٠ — حـ ٢٢ — ص ١٢ .

المنكرون عقيدة ختم النبوة والرد عليهم

مع وجود الدلائل الواضحة الدلالة على صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - في دعوته ورسالته إلى الناس كافة ، فإنه يوجد فريقان ينكران بعثته مع أنهما أعلم الناس بصدقه ، حيث أن لهما كتابا عرفا منه أنه النبي المبعوث آخر الزمان وهو آخر الأنبياء وخاتم المرسلين .

قال تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (١)

وهذان الفريقان هما اليهود والنصارى

فالنصارى ينكرون عنادا وحسدا من عند أنفسهم ، وإنكارهم بعثته - صلى الله عليه وسلم - مبني على القدح والطعن في معجزته - عليه الصلاة والسلام - وهي القرآن الكريم ، مدّعين أنه لا يدل على صدقه ، ولم يستدلوا على الطعن في بعثته بالنسخ كما ادعت اليهود ، لأن النسخ عند النصارى جائز ، وإنما مدار الخلاف هو المعجزة الكبرى وهي القرآن الكريم ، فقد ادعوا أنه غير معجز وبذا يكون رسولنا عليه الصلاة والسلام بدون معجزة .

---

(١) الآية (١٤٦) من سورة البقرة .

والجواب عن ذلك قد سبق عند ذكر أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ورد شبه القادحين في إعجازه .

إلا أننا نستطيع أن نذكر هنا باختصار أن النصارى ليسوا خبراء أو علماء في اللغة حتى يقولوا إن القرآن غير معجز ، وإنما الخبراء والعلماء هم فصحاء العرب وبلغاؤهم ، وهم الذين تحداهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقرآن الكريم فعجزوا عن الإتيان بمثله مع حرصهم الدائم على تكذيبه ، ومع ذلك فقد اعترفوا بإعجازه وقالوا : إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، ففصحاء العرب هم المعول عليهم في كون القرآن معجزا أو غير معجز ، لأنهم هم الخبراء في الصنعة ، وهم وحدهم أصحاب القول الفصل فيما يتعلق بصنعتهم التي برعوا فيها ، وهي العربية ، وغير العرب البارعون في لغتهم لا يؤخذ بشهادتهم ، ولا يسمع قولهم في هذا المجال ، ومن ثم فلا نقيم لآرائهم وزنا ، اللهم إلا إذا جاز لنا أن نستشير التجار في طب العيون مثلا فكلا الأمرين مرفوض بداهة .

إنكار اليهود لبعثة رسولنا

- صلى الله عليه وسلم -

لهؤلاء المنكرين وجهان في هذا الإنكار :

الوجه الأول : قالوا إن بعثته - عليه الصلاة والسلام - تقتضي نسخ شرائع من قبله ، والنسخ محال ، لأنه يترتب عليه محال وهو البداء والجهل بالعواقب بالنسبة لعلام الغيوب وهما محالان عليه - سبحانه وتعالى - ، ثم إن النسخ محال لأن أحكام الله لا تخلو عن مصلحة فإن كان لا يعلم المصلحة في الحكم المنسوخ فذلك الجهل وإن كان يعلمها فرأى رعايتها أولا ثم أهملها بتغيير الحكم فذلك البداء .

يقول فضيلة الشيخ صالح شرف " عليه رحمة الله " : (أما الوجه الأول فقد قالوا فيه إن بعثته - عليه السلام - تقتضي نسخ شرائع من قبله في الأحكام الفرعية والنسخ محال لما يترتب عليه من محال وهو الجهل والبداء وهما محالان على الله - تعالى - فما أدى إليه من إنكار بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - محال ، ثم يبينون استحالة النسخ بأن أحكام الله لا تخلو عن مصلحة فإن كان الله لا يعلم المصلحة في الحكم المنسوخ فذلك الجهل وإن كان يعلمها فرأى رعايتها أولا ثم أهملها بتغيير الحكم فذلك البداء) (١) .

---

(١) محاضرات في مادة التوحيد ص ٢١ .

والجـواب عن ذلك :

أولا : أننا نقول إن رعـاية المصلحة فى الأحكام لا تجب عند أهـل السـنة .

ثانيا : لو سلم فالمصالح تختلف بحسب الأوقات والأشخاص ففى النسخ مصلحة لم تكن حاصلة من قبل لاختلاف الأوقات والأشخـــاص ومثل ذلك الدواء فإنه قد يفيد فى بعض الأوقات دون البعـض الآخر وعلى ذلك فإنه يجوز أن تكون المصلحة فى الحكم المنسوخ فى وقت غير صالحة لوقت آخـر لحدوث مصلحـة أهم منها نظـرا لتغير الأوقات والأشخـاص .

ثالثا : أن إنكار اليهود النسخ مردود لأنه قد ورد النسخ فى التـــوراة التى هى كتابهم حيث ذكر فيها أن الله تعالى قد أحـل لآدم عليه السلام كل ما دب على وجـه الأرض وقد حرم على نوح بعض الحيوانـات ، وحرم الجمع بين الأختين فى شريعة موسى ـ عليه السلام ـ مع أنه كان حلالا فى شريعة آدم ـ عليه السلام ـ فكيف يدعون استحالة النسخ مع أن التوراة ناطقـة بـه ؟

يقول الـرازى إن : (نبـوءات التوراة عن النبى المنتظـــر ، الذى أخبر عن مجيئـه موسى فى الإصحـاح الثامن عشر من سفر التثنية

تقول للسامريين وللعبرانيين إن النسخ في يوم من الأيام واقع على كتاب موسى من النبي المنتظر سواء كان هو منهم - كما يزعمون - أو من غيرهم فإن موسى قال عنه لبني إسرائيل : "تسمعون له وتطيعون" أي إن أمرهم فيما يأمر بترك كتاب موسى يسمعون لأمره ويطيعون ،أي إن صرح بنسخ أحكام التوراة يسمعون له ويطيعون) (١) .

رابعا : أن القول بالبداء عقيدتهم التي تنطق بها توراتهم وكل كتبهم وإن أنكروها فإن إنكارهم يكون مرفوضا لوجود النصوص القاطعة بذلك في توراتهم ،بل في أسفارهم الخمسة التي هي أصح ما فيها .

الوجه الثاني : أنهم قالوا :(إن موسى عليه السلام نفى نسخ دينه حيث قال : " تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض " وأنه قال : " إني خاتم الأنبياء " وموسى نبي باتفاق ومعنى قوله ما دامت السموات والأرض أنه باق حتى قيام الساعة وإذا لم ينسخ حكم السبت فلا تنسخ سائر الأحكام التي جاءت في التوراة ، وقالوا أيضا إن موسى إما أن يصرح بدوام

---

(١) النبوات وما يتعلق بها ص٣٧ تحقيق د / أحمد حجازي السقا .

دينه وإما بعدم دوامه أو يسكت ، ولا جائز أن يصرح بعدم دوام دينه وإلا لتواتر ذلك عنه قطعا لأنه من الأمور العظيمة التى تتوافر الدواعى على نقلها ، ولا جائز أن يسكت عن التصريح بشئ وإلا لتحقق أمر دينه مرة واحدة ولا يستمر بعد ذلك لأن المطلق يتحقق بالمرة الواحدة وذلك منتف لأن شريعته باقية إلى أوان النسخ ، وإذا بطل الأمران تعين الأمر الأول وهو التصريح بدوام دينه وعلى ذلك فلا نسخ فى شريعته وهذا مناف لبعثة محمد) (١) .

والجواب عن ذلك :

أولا : أن ادعاء اليهود قول موسى " تمسكوا بالسبت " " وأنى خاتم الأنبياء " لم يتواتر عنه ، ولو قاله موسى عليه السلام لأحتج به اليهود المعاصرون لبعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولنقل ذلك متواترا لكنه لم يحدث منهم احتجاج ، وقد قيل إن ذلك من وضع ابن الراوندى اختلقه لليهود ليعارض به دعوى الرسالة من محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم إن أحبار اليهود ككعب الأحبار ، وابن سلام ، ووهب بن منبه ، وغيرهم كانوا أعرف من غيرهم بما فى التوراة ، وقد أسلموا ودانوا لشريعته واعترفوا بأنه الرسول الذى بشرت به التوراة والإنجيل ولم يذكروا شيئا من ذلك .

---

(١) الشيخ صالح شرف : محاضرات فى مادة التوحيد ص ٣٢

ثانيا : لو صح ما قاله اليهود وهو التمسك بالسبت لكان صدقا ولو كان صدقا حقا لما ظهرت المعجزات على يد سيدنا عيسى ومحمد – عليهما السلام – فلما ظهرت المعجزات على يديهما دلت على كذب اليهود .

ثالثا : وأما عن الترديد الذى ذكرتموه فإنا نختار أن موسى – عليه السلام – قد صرح بدوام دينه إلى ظهور الناسخ على يد نبى يأتى بعده ، ولم ينقل ذلك متواترا لقلة الدواعى إلى نقله لأنه يصير حجة على اليهود ويصح أن يكون ذلك لقلة اليهود الناقلين فى بعض الأوقات فلم يكمل منهم العدد الذى يصح منه التواتر وذلك لأن اليهود فى زمن بختنصر قتل منهم كثير وشرد آخرون فلم يبق منهم إلا القليل وشرط التواتر أن تكون الطبقات الناقلة كثيرة بحيث يؤمن تواطؤهم على الكذب فإذا لم يتحقق ذلك فى طبقة من الطبقات الناقلة انعدم التواتر (١) .

---

(١) انظر : محاضرات فى مادة التوحيد ص ٣٢

رأى العيسوية من اليهود
فى بعثة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

ترى هذه الطائفة أن محمدا - عليه الصلاة والسلام - لم يبعث إلا للعرب خاصة .

والجواب على ذلك :

يقول الآمدى : (وأما العيسوية ، فيمتنع عليهم - بعد التسليم بصحة رسالته وصدقه فى دعواه بما اقترن بها من المعجزة القاطعة - تكذيبه فيما ورد به التواتر القاطع عنه بدعوى البعثة إلى الأمم كافة ونزول القرآن بذلك ، وهو قوله تعالى : (يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس) وقال فى وصف ما أنزل عليه (هدى للناس) ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - (بعثت إلى الأحمر والأسود) وقوله (بعثت إلى الناس كافة) وقوله (لو كان أخى موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى) .. ويدل على ذلك ما اشتهر عنه ،وتواتر عن دعوته لطوائف الجبابرة والأكاسرة وإرساله الرسل إلى أقاصى البلاد ، وطلب الدخول فى ملته والقتال لمن عارض من العرب وغيرهم فى نبوته) (١) .

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ١٧٩ .

ويقول الشريف الجرجانى فى الرد على العيسوية : " أنهم لما سلّموا صحة نبوته بالأدلة القاطعة والمعجزات الباهرة وجب عليهم أن يعترفوا بما تواتر عنه من دعواء البعثة إلى الأمم كافة لا إلى العرب خاصة فإنه قد علم ذلك منه كما علم وجوده ودعواء الرسالة" (١) .

هذا ويوجد فريق ثالث غير اليهود والنصارى يجحد نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويمثل هذا الفريق مشركو مكة الذين عرفوا صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى دعواء النبوة إلا أنهم جحدوها ظلما وحسدا .

قال الله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا...) (٢)

وقال سبحانه وتعالى: (... فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) (٣)

وسوف لاينقطع الطريق بالجاحدين ، بل سيظل كستمرا استمرار الزمن والحياة ، فكثيرا ما تجد الناس فى كل زمان ومكان يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم إلا أنهم يتنكرون له ظلما وعلوا وفسادا فى الأرض ، وصدق الله العظيم (... يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٤) .

---

(١) شرح المواقف م٣ ص ٢٠٤ (٢) جزء الآية (١٤) من سورة النمل .

(٣) جزء الآية (٣٣) من سورة الأنعام .

(٤) جزء الآية (١٤٦) من سورة البقرة .

السمعيــــات

هى الأمــور التى لا تؤخـذ إلا بالسماع من الصـادق المصـدوق صلى الله عليـه وسلـم ولا يستقـل العقل بإدراكهـا وحـده ، لأنهـا وراء المـادة المدركـة بالحـواس .

والسمعيـات تتنـاول أمـورا كثيرة وردت إلينـا عن طريـق الشرع " كتابا وسـنة " من أهمهـا :

عـذاب القـبر ونعيمـه ، والبعـث والمعاد ، والحشر والشفاعـة ، والصـراط والحوض والقلـم واللـوح المحـفوظ والعرش والكرسـى والجـنة والنـار وما ورد فيهمـا .

الاستدلال على السمعيات

من الأمـور ذات الأهمـية أن نعلم أن ديننـا وقضاياه الأصولية والفرعـية ثابت بالعقل والشـرع . وأن العقل مؤيـد ومؤكـد لمـا ورد فى الشـرع حول الدين بكل قضـاياه . فليس لدينـا فى ديننا ما يعارض أو ينـاقض أو يصطـدم بالعقل . بل إن العقـل فـى هذه القضـايا كلها إنما هو مؤكـد ومؤيد ، ولا نقول كاشـف .

فالكاشف بحق إنما هو الشرع . وقد يستقل العقل يقينا بمعرفة أمور ، ولكنه في حاجة دائمة إلى الشرع ليوضح حقائق هذه الأمور وتفاصيلها وفروعها وأجزائها فالعقل يستقل كاشفا بمعرفة أن لهذا العالم خالقا يدرك هذا دون سند من الشرع . لأن آيات الله — تعالى — المبثوثة في كونه المنشور دالة على وجوده ، لكل عاقل حتى ولو لم يأت بذلك شرع .

لكن يبقى بعد ذلك كل ما يتصل بذات الله الخالق من صفاته — تعالى — وما يجب له ، وما يستحيل ، وما يرضى به ، وما لا يرضى ... الخ كل ذلك يظل وقفا على الشرع .

العقل — إذن — له مدخل في الاستدلال على الشرع بكل قضاياه مؤكدا ومؤيدا .

لكن من الأمور الشرعية ما يستدل بالعقل عليه مباشرة كأصول الدين ، ومنها ما يستدل عليه العقل بطريق غير مباشر .

فقضايا العقيدة الأساسية تقوم على أساس الاستدلال بالعقل استدلالا مباشرا مثل إثبات وجود الله — تعالى — وإثبات صفاته ،

وصدق الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما يخبر به عن ربه واستدلال العقل على هذه القضايا إنما هو في مجال العموميات ويبقى للشرع ـ كما ذكرنا ـ كل الأمور المتصلة بهذه القضايا الأساسية .

أما السمعيات فتقوم على الشرع ثم تقوم ـ مع ذلك ـ على الاستدلال العقلي بطريق غير مباشر .

فرسولنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخبرنا بالسمعيات عن الله ـ تبارك وتعالى ـ وقد ثبت لدينا صدق الرسول صدقا عقليا يقينيا حيث إنه لم يكذب في حياته لا قبل البعثة ولا بعدها . ولقب بالصادق الأمين وشهد بصدقه أعدى وألد أعدائه . وقد كان صدقه أحد البراهين التي أقنعت هرقل بصدق دعوى الرسول . ورغم أن هذه كلها أمور يمكن أن تقوم شاهد صدق وحق على صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما جاء به من قبل ربه ـ سبحانه وتعالى ـ إلا أن الله ـ تعالى ـ لم يكلنا إلى هذا فقط بل أقام الدليل واضحا بينا معتمدا على البراهين

العقلية والأدلة المنطقية على أن مدعى النبوة - صادق فى دعواه ، صادق فيما يبلغ عنه - •

هذه الأدلة التى أقامها الحق سبحانه على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم هى المعجزات فى شتى صورها الحسية والمعنوية ، العقلية والتركية ، ومعلوم أن دلالة المعجزات هى دلالة عقلية •

- إذن - فقد ثبت عقلا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صادق فيما يدعيه وفيما ينقله عن ربه - سبحانه - •

سؤال القبر ونعيمه وعذابه

القبر : هو المكان الذى يستقر فيه جسد الإنسان بعد مفارقة الروح للجسد ، ولو كان هذا المكان جوف الوحش ، أو حواصل الطير ، وكذلك لو أحرق وذُرِّىَ فى الرياح .

وقد اختلف العلماء حول من يُسأل ومن لا يُسأل :

١- فذهب الجمهور : إلى أن السؤال يكون لأمة الدعوة مؤمنين ومنافقين وكافرين .

٢- وذهب ابن عبد البر : إلى أن السؤال يكون للمؤمنين والمنافقين لانتسابهم إلى الإسلام فى الظاهر ، أما الكافر فلا يُسأل .

والرأى الراجح - عندى - أن السؤال يكون للمسلم والكافر والطائع والعاصى ، والمسئول هم المكلفون من الإنس والجن لعموم النص . ولعدم وجود ما يحيل وقوع ذلك .

أما من لا يُسأل فقد اختلفوا فيه إلى رأيين :

الرأى الأول :

الذين لا يسألون هم :

١- الأنبياء وعلى رأسهم إمامهم محمد - صلى الله عليه وسلم - .

٢ _ الملائكـــة ·

٣ _ الصديقـون والشهداء والمرابطـون والملازمـون لقراءة سـورة الملك من حـين بلوغهـم والمراد بالملازمـة الإتيـان فـي غالب الأوقـات · ومن قرأ سـورة السجـدة ومن قـرأ فـي مرض موتـه " قل هو الله أحـد " ومن مرض بالبطن والميـت بالطاعـون أو بغـيره صابرا محتسـبا والميت ليلة الجمعة ·

٤ _ الأطفـال ·

الرأي الثانـي :

الذين لايسألون هـم : الأنبيـاء وشهداء المعركة ، أمـا الباقـون فيسألـون سؤالا خفيفـا وهو الواجـح · والسائل هو منكـر ونكـير ·

وسؤال القبر يكون بعد تمام الدفن وانصـراف الناس ··

عن عثمان بن عفـان قال : كان النبي _ صلى الله عليه وسلم إذا فـرغ من دفـن الميت وقف عليه وقال : " استغفـروا لأخيكـم وسلوا لـه التثبيـت ، فإنه الآن يُسـأل "(١) ·

---

(١) سنن أبي داود ٣/٥٥ ·

ويبدأ السؤال بأن يأتيه ملكان ويعيد الله - تعالى - إليه الروح ويحييه نوعا من الحياة .

وقال ابن حجر : إن الروح تعود إلى نصفه الأعلى . ويُرَدُّ إلى الميت من الحواس والعقل والعلم ما يتوقف عليه فهم الخطاب ورد الجواب . وعندئذ يقول الملكان له مَنْ ربك وما دينك وما تقول في الرجل الذي بُعث فيكم فيقول المؤمن ربي الله وديني الإسلام والرجل المبعوث فينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقولان له انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة فيراهما جميعا ثم يقولان له نم نومة العروس .

وأما المنافق أو الكافر فيقول لا أدري فيقولان له لا دريتَ ولا تليتَ ثم يصيبه ما قُدِّر له من العذاب (١) .

قال تعالى :-

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) (٢) .

---

(١) انظر شرح البيجوري ص ٢٠٩ .

(٢) الآية (٢٧) من سورة إبراهيم .

قال العلماء أن المقصود بتثبيت المؤمنين فى الحيــــاة الدنيا الثبــات على الإيمان وفى الآخــرة أى فى القــبر عند ســؤال الملكــين . وقيل المقصود بالحياة الدنيا ســؤال القبر لأنه متصــل بالحياة الدنيا وفى الآخــرة أى عنــد الحساب .

(ويضل الله الظالمــين) أى الكفار فلا يهتدون للصــــواب ومن الناس من يســأله الملكــان تشديدا عليه ، ومنهم مــن يسألـــه أحدهمــا تخفيفــا عنــه .

نعيم القبر

نعيم القبر يكون المؤمنين من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

ولنعيم القبر صور شتى منها :

١ - توسيع القبر على الميت سبعون ذراعا عرضا وكذلك طولا .

٢ - فتح طاقة من الجنة فيه .

٣ - امتلاؤه بالريحان .

٤ - جعله روضة من رياض الجنة .

وقد ورد أن الله - تعالى - أوحى إلى موسى - عليه السلام - تعلم الخير وعلمه الناس فإني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لايستوحشون مكانهم . وعن عمر مرفوعا (من نوَّر في مساجد الله نور الله له في قبره) (١) .

الأدلة على نعيم القبر :

قوله - تعالى - : (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (٢)

---

(١) انظر : شرح البيجوري على الجوهرة ص ٢١٢ .

(٢) الآية (١٦٩) من سورة آل عمران .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - :

(... إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)(١) .

والإيمان بسؤال القبر ونعيمه وعذابه واجب سمعا ، لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق الأمين وكل ما كان كذلك فهو واجب ، وهذا ما عليه أهل السنة وجمهور المعتزلة .

وقد أنكرت الملاحدة هذه الأمور " سؤال القبر ونعيمه وعذابه " وإنكار هؤلاء مخالف للكتاب ، والسنة ، والإجماع .

وإن كان في الآيات مجال للتأويل عند هؤلاء ، وإذا كانوا قد طعنوا في الأحاديث بأنها آحاد ، ولا تفيد اليقين ، ولا يؤخذ بها في العقائد ، فقد ثبت إجماع صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتابعين من بعدهم على هذه العقيدة والإجماع حجة في قوة الكتاب والسنة .

---

(١) سنن الترمذي : ٤/٥٥ .

عــذاب القــبر

ذهب العلماء بالنسبة إلى المعذب فى القبر إلى رأيين :

الـرأى الأول : يرى أن المعذب هو البدن والروح ٠

الـرأى الثانى : يرى أن المعذب البدن فقط ويخلق الله فيه إدراكـا بحيث يسمع ويعلم ويتلذذ ويتألـم ٠

ويدوم عـذاب الكافر والمنافق ٠ أما عصاة المؤمنيـن فينقطـع عنهم العـذاب وهم من خفـت جرائمهم من عصـاة المؤمنين فإنهـم يعذبـون بحسب معاصيهم وقد يرفـع عنهم العذاب بدعاء أو صدقة أو غيـر ذلك ٠

ولعذاب القبر صـور عديدة منهـا :

١ ـ تسليط الثعابين على الكافـر لكفره بأسماء الله الحسنى ٠

٢ ـ ضغطـة القبر بأن تلتقـى حافتاه على الميـت وهذه الضمـة لاينجـو منها إلا الأنبيـاء ومن قرأ سورة الإخلاص فى مـرض المـوت ٠

الأدلة على عذاب القبر

قال تعالى في كتابه الكريم :

(النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) (١)

ذكرت الآية الكريمة نوعين من العذاب في وقتين مختلفين ، فقد ذكرت الآية أن فرعون وقومه يعذبون بأن يعرضوا على النار غدوا وعشيا . ثم قال تعالى (ويوم تقوم الساعة) فذكر نوعا ثانيا من العذاب محله بعد قيام الساعة ، فيصبح العذاب الذي ذكر قبل ذلك قبل قيام الساعة - أي في القبر - .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال " .

---

(١) الآية (٤٦) من سورة غافر .

البعث

البعث : هو " إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية وهى التى من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ولو قطعت قبل موته بخلاف التى ليس من شأنها ذلك كالظفر " (١) .

وأول من تنشق عنه الأرض نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو أول من يبعث وأول من يحشر وأول من يدخل الجنة وبعده سيدنا نوح - عليه السلام - والأول بعد الأنبياء أبو بكر - رضى الله عنه - .

والبعث ثابت بالكتاب والسنة والإجماع .. ومنكر البعث كافر .

الأدلة على البعث من القرآن الكريم :

قال - تعالى - فى كتابه الكريم :

(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد) (٢) .

---

(١) شرح البيجورى على الجوهرة : ص ٢١٢ .

(٢) الآية (٦) من سورة المجادلة .

وقال تعالى :

(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير) (١) .

وقال تعالى :

(... وأن الله يبعث من فى القبور) (٢)

والدليل على البعث من السنة النبوية :

ما روى أن أبى بن خلف خاصم النبى - صلى الله عليه وسلم - وأتاه بعظم قد رَمّ وبلى وفتّه وقال يا محمد : أَتُرَى أن الله يحيى هذا بعد ما رم وبلى ، فقال - عليه السلام - (نعم ويبعثك ويدخلك النار) .

---

(١) الآية (٧) من سورة التغابن .

(٢) جزء الآية (٧) من سورة الحج .

المعاد

من القضايا المسلم بها قضية الجزاء (ثوابا وعقابا) دفعا للمحسن وردعا للمسيء . وهذا جزاء دنيوى إذ العدالة تقتضى ذلك . ولما كان هذا الجزاء مطلوبا فى حياتنا الدنيا فإنه مؤكد فى الحياة الأخرى ، وصدق الله العظيم " الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا "(١) ومن هنا أجمعت الأديان على خلود الروح وبعثها إلى الجسد ، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا البعث إذ القادر على الخلق والإيجاد قادر على الإحياء والبعث بل من باب أولى . إلا أن هناك خلافا بين العلماء حول قضية البعث والمعاد جاء على فرق كثيرة وآراء عديدة .

ونود قبل أن نتحدث عن هذه الفرق أن نشير بإيجاز إلى تعريف المعاد .

المعاد فى لغة العرب مشتق من العَوْد . وحقيقته المكان

---

(١) جزء الآية (٢) من سورة الملك .

أو الحالة التي كان الشيء فيها فباينها ، فعاد إليها ، ثم نُقل إلى الحالة الأولى ، أو إلى الموضع الذي يصير إليه الإنسان بعد الموت .

وسوف نشير بإيجاز إلى اختلاف الفِرَق حول المعاد من حيث إن له حقيقة أو لا حقيقة له . وهل يقع أو لا يقع ؟

الدهريون والملاحدة :

وهؤلاء ينكرون المعاد أصلا ، وينكرون الخالق والبعث والإعادة ، ويقولون بالطبع المحي والدهر المفني (١) وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد في قول الله تعالى :- " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر " (٢)

أما المؤمنون بالمعاد . فقد انقسموا إلى فريقين :

الفريق الأول : ذهب إلى أن المعاد إنما يكون بالروح لا بالجسد . ولهم أدلة على ذلك نذكرها في محلها إن شاء الله .

---

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١٠٥/٤ .

(٢) جزء الآية (٢٤) من سورة الجاثية .

والفريق الثانى : ذهب إلى أن البعث بالجسم ، وهؤلاء هم المسلمون على الحقيقة ، وغيرهم غير ذلك .

وقد آثرنا أن نبدأ بالكلام عن المعاد عن جمهور المتكلمين الذين أقروا بالمعاد الجسمانى ، فالمعاد عندهم بالروح والجسد ، ومعنى هذا الرجوع إلى الوجود مرة ثانية بعد الفناء .

وبالرغم من أن المتكلمين قد أجمعوا على أن المعاد بالروح والجسد معا ، إلا أنهم اختلفوا فى الإعادة ، هل هى عن عدم أو عن تفريق إلى فريقين ؟

الفريق الأول : يرى أن الإعادة تكون عن عدم محض ، بحيث لا يبقى للجسم أثر ولا عين .

ولهم أدلة على ما ذهبوا إليه :

١ ـ قوله تعالى :-

(يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين)(١) فالإعادة كالابتداء وقد كان الابتداء عن عدم فالإعادة كذلك عن عدم .

---

(١) الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء .

٢ ـ قولـه تعالى :

(... كما بدأكم تعـودون) (١)

٣ ـ قولـه تعـالى : (١)

(كـل من عليهـا فـان) (٢)

٤ ـ قولـه ـ تعالى ـ :

(ولا تدع مع الله الهـا آخر لا إله إلا هو . كل شيء هالك إلا وجهـه له الحكم وإليـه ترجعـون) (٣) .

الفريق الثاني : يرى أن الإعـادة تكون عن تفريـق محض ، بحيـث لا يبقى من الجسم جوهران فردان على الاتصال .

واستدلوا على ذلك بقولـه ـ تعالى ـ :

(وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهـن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيـاً واعلم أن اللـه عزيز حكيم) (٤) .

---

(١) جزء الآية (٢٩) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٢٦) من سورة الرحمن . (٣) الآية (٨٨) من سورة القصص .

(٤) الاية (٢٦٠) من سورة البقـرة .

وقوله تعالى :

(وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) (١) ٠

وهذه الإعادة سواء كانت عن عدم أو عن تفريق لا تشمل الأنبياء والشهداء والمؤذنين احتسابا والعلماء العاملين وحملة القرآن الكريم الملازمين لتلاوته العاملين بما فيه ٠

والمعاد الأجزاء الأصلية التي تبقى من أول العمر إلى آخره ٠

والرأى الراجح ـ عندى ـ أن الجسم يعاد بعد تفريق أجزائه ، لأن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ سأل ربه عن كيفية إحيائه الموتى فأجابه بما يدل على أن الإعادة إنما هي عن تفريق ٠ فلو كانت الإعادة عن عدم لأجابه الله ـ تبارك وتعالى ـ بما يدل على ذلك ٠ ثم إنه لو لم تكن الإعادة عن تفريق للزم أن المعاد جسد آخر لا الجسد الأول بعينه الذى كان موجودا في الحياة الدنيا ٠

---

(١) الآية (٧) من سورة سبأ ٠

إلا أن الأسلم التوقف عن القول بأن الإعادة عن عدم أو عن تفريق ، لأن الله - تبارك وتعالى - قادر على أن يعيدها بأي كيفية والمقصود هنا أن هناك معادا ، وأن الله - سبحانه وتعالى - يعيد الأجساد يوم القيامة لحسابها على ما قدمت في الحياة الدنيا ، لأن النصوص القرآنية الدالة على البعث صريحة لا تحتمل التأويل .

قال تعالى :-

(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (١) .

وقال تعالى :- (إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) (٢)

وقال تعالى :- (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد) (٣) .

---

(١) الآية (٧) من سورة التغابن .

(٢) الآية (٤) من سورة يونس .

(٣) الآية (٦) من سورة المجادلة .

الأدلـة على المعـاد

أولا : الدليل النقلى :

لقد جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجل من كفار مكة وبيده عظام قد رمت وبليت ، فأخذ يفتت العظام بيده ، وهى تتساقط من بين أصابعه رمادا وهو يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو تزعم يا محمد أن ربك يبعث هذه بعد ما رمت وبليت . فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - بلى ، ويميتك ويبعثك ويدخلك النار .

وفى هذه الواقعة نزل الوحى على رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بالآيات من آخر سورة " يس " .

يقول الله - سبحانه وتعالى - :

(أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو

الخلاق العليم • إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون • فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون) (١) •

وقال تعالى :-

(يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إنا كنا فاعلين) (٢) •

وقال تعالى :-

(قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) (٣) •

ثانيا : الدليل العقلى :

إن أجزاء الجسم قابلة للإعادة والتأليف والحياة ، والله عالم بأجزاء كل بدن وقادر على إعادتها وتأليفها وإحيائها ؛ لأن صحة القبول من القابل والفعل من الفاعل تستلزم جواز الفعل ، فيكون الجمع والإعادة أمرا ممكنا ، أو نقول إن

---

(١) الآيات (٧٧ : ٨٣) من سورة يس •

(٢) الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء •

(٣) الآية (٢٩) من سورة الأعراف •

أجزاء الجسم قابلة للإعادة والتأليف والإحياء ، والله عالم بها وقادر على إعادتها وتأليفها ، فإعادة الأجسام ممكنة عقلا .

فإعادة الأجساد - إذن - من الأمور الممكنة عقلا ، ولا يعارض في ذلك إلا معاند .

ثم ، كيف تكون إعادة الأجساد حية أمرا محالا ، والذى يعيد الأجساد هو الذى سبق وأن خلقها من عدم ؟

يقول الله تعالى :

(أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم . بلى وهو الخلاق العليم)(١) ويقول - سبحانه - : " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)(٢) .

---

(١) الآية (٨١) من سورة يس .

(٢) الآية (٢٧) من سورة الروم .

الفلاسفة : يرون أن المعاد والبعث روحانى • ومعنى ذلك عودة الأرواح إلى ما كانت عليه من التجرد بعد تخلصها من علائق البدن •

وقد اعتمد الفلاسفة فى ذلك على أن البدن سجن للنفس وعائق لها عن إدراك حقائق الأشياء والالتذاذ بالنظر العقلى الخالص ، وأن اللذات العقلية أسمى وأشرف من اللذات الجسمانية وهذا هو حال الملائكة فإن لذاتها بما اختصت به من الاطلاع على حقائق الأشياء وقربها من رب العالمين راجعة إلى تجردها عن الأبدان •

أما ما ورد فى القرآن الكريم من آيات تحمل صورا حسية عن الجنة أو النار فهى تقتضى التأويل والغرض منها ضرب الأمثال لتقريب المعنى إلى أفهام العوام •

ولقد كفّر الإمام الغزالى الفلاسفة فى إنكارهم مسألة حشر الأجساد ، فالفلاسفة تقول ببقاء النفس بعد الموت • فالمعاد عندهم روحانى ومعنى ذلك عندهم أن من مات فقد قامت قيامته •

والغزالى يوافق الفلاسفة فقط فى القول ببقاء النفس بعد الموت استنادا إلى ما ورد فى الشرع •

قال تعالى :

(ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (١) .

وقال تعالى :

(يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) (٢)

إلا أن الإمام الغزالي ينكر عليهم قولهم إن الطريق إلى معرفة هذا الأمر إنما هو العقل . ويستند الغزالي إلى أن الشرع الشريف وحده هو الفيصل في هذه القضية وأن تحقق معاني الجزاء في الآخرة إنما يتطلب بعث الأجساد .

يقول الإمام الغزالي : " ونحن نقول : أكثر هذه الأمور ليست على مخالفة الشرع ، فإنا لا ننكر أن في الاخرة أنواعا من اللذات ، أعظم من المحسوسات ، ولا ننكر بقاء النفس عند مفارقة البدن ، ولكنا عرفنا ذلك بالشرع ، إذ قد ورد بالمعاد ، ولا يفهم المعاد إلا ببقاء النفس ، وإنما أنكرنا عليهم ، من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل . ولكن المخالف للشرع منها : إنكار حشر الأجساد

---

(١) الآية (١٦٩) من سورة آل عمران .

(٢) الآيتان (٢٧،٢٨) من سورة الفجر .

وإنكار اللذات الجسمانية في الجنة وإنكار الآلام الجسمانية في النار ، وإنكار وجود الجنة والنار ، كما وصف في القرآن . فما المانع من تحقق الجمع بين السعادتين : الروحانية والجسمانية وكذا الشقاوة ؟!

وقوله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين ...)(١) أي لا يَعْلَمُ جميع ذلك .

وقوله في الحديث القدسي : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " فكذلك وجود هذه الأمور الشريفة ، لا يدل على نفي غيرها ، بل الجمع بين الأمرين أكمل ، والموعود به أكمل الأمور ، وهو ممكن ، فيجب التصديق على وفق ما ورد به الشرع ... " .

---

(١) جزء الآية (١٧) من سورة السجدة .

هل المعـــاد نفس الجسد أو غيره ؟

اختلفت الآراء حول المعاد • هل المعاد نفس الجسد أو غيره ؟

١ ـ الرأى الأول :

أن المعاد هو نفس الجسم الأول الذى كان موجـود ا بعينـه في الحياة الدنيا •

فالله سبحـانه وتعالى ـ يعيد الجسم الأول بعينه • فالجسم الثانى المعاد هو الجسم الأول بعينه ،حتى لايلزم أن المثاب أو المعـذب غير الجسم الأول الذى أطـاع أو عصـى فـى الحياة الدنيـا •

الأدلة على ذلـك :

قوله تعالى : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملـون) (١) •

يذكر ابن كثير أن : " المشركين إذا رأوا أنه لايدخل الجنـة إلا أهل الصـلاة قالوا تعـالوا حتى نجحد فيجحـدون فيختم علـى أفواههـم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولايكتمـون الله حديثـا •

---

(١) الآيـة (٢٤) من سورة النـور •

عن أبي سعيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

(إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمهم الله فتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم ثم يدخلهم النار) .

من هنا نرى أن المعاد هو الجسد الأول بعينه بدليل شهادة الجوارح على الإنسان وإلا لما كان هناك فائدة من شهادتها على أعمال الإنسان . وإذا كانت الألسن والأيدي والأرجل تشهد على الإنسان فهذا يدل على أنها تشهد على الجسد الأول الذي كانت فيه في الحياة الدنيا لا جسد آخر .

قال تعالى :

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) (١) .

يقول الفخر الرازي : " وظاهر القرآن يدل على أن تلك الشهادة شهادة صدرت من تلك الأعضاء لا من الله - تعالى - قال (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) وأيضا أنهم قالوا لتلك الأعضاء

---

(١) الآية (٢١) من سورة فصلت .

(لم شهدتم علينا) فقالت الأعضاء (أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) فكل هذه الآيات تدل على أن المتكلم بتلك الكلمات هى تلك الأعضاء ، وأن تلك الكلمات ليست كلام الله - تعالى - " .

يقول ابن كثير إنهم : " لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم ، وعند ذلك أجابتهم الأعضاء (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة) أى فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون " .

فلا معنى لملامة أعضاء الإنسان إلا إذا كانت هى هى التى كانت مصاحبة لجسد الإنسان فى الحياة الدنيا . وهذا يدل على أن المعاد هو نفس الجسد الذى كان موجودا فى الحياة الدنيا لا غيره .

٢ - الرأى الثانى :

يرى أن المعاد جسدا آخر ، فالجسد المعاد للحساب والعقاب يوم القيامة غير الجسد الذى كان موجودا فى الحياة الدنيا .

والرأى الراجح : هو أن المعاد هو الجسد الأول بعينه لما تقدم من الأدلة .

الحشـــــــــــر

الحشـــر : هو سوق الخلق جميعـــا إلى الموقف وهو الموضـــع

الذى يقفـــون فيه لفصـــل القضـــاء بينهم •

والحشر والنشـــر بمعنى واحـــد •

اختلاف العلماء حول المحشورين

من الخـــلق

اختلف العلماء فى المحشورين من الخلق إلى فريـــقين :

الفريق الأول :

ذهب إلى أن المحشورين إنما هم أصحاب التكليف فقـــط ،

فلا يحشر إلا المكلفون ، وهم الإنس والجـــن الذين بلغوا ســـــن

التكليـــف وتخطـــوه بلحظة ، لأنهم إنما يحاسبون على ما كلفـــوا بـــه

أطاعـــوا أم عصـــوا •

قال تعـــالى :

(ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنـــس

وقال أولياؤهـــم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا

الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم • وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون • يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (١))

فالمراد بالإشارة فى قوله تعالى (لقاء يومكم هذا) فى الآية السابقة هو يوم القيامة بما فيه من النشر والحشر ••• الخ وهذا يدل على أن المحشورين هم المكلفون من الإنس والجن بدليل أن هذه الآية الكريمة ذكرت عقب الحديث عن الحشر بدليل قوله ـ تعالى ـ :

(ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم (٢)) •

---

(١) الآيات (١٢٨ : ١٣٠) من سورة الأنعام •

(٢) الآية (١٢٨) من سورة الأنعام •

وذهب فريق آخر : إلى أن الجن والإنس والملائكة والحيوانات والطيور تحشر جميعها .

فالإنس والجن تقدم الحديث عنهم . أما الملائكة فقد اختلف العلماء بالنسبة لهم وذلك بناء على اختلافهم في تفسير قوله ـ تعالى ـ : (... وقضى بينهم بالحق...) الوارد في آية : (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) (١)

حيث قيل إن المراد بقوله (وقضى بينهم بالحق) أي بين الخلائق كلها من المؤمنين وغيرهم من الكفار بدليل الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة التي تتحدث عن سوقه ـ سبحانه وتعالى ـ الكافرين إلى جهنم والمتقين إلى الجنة . وعلى ذلك فالمراد بالضمير في قوله (بينهم) أي بين الكفار والمؤمنين . وعلى ذلك لاتحشر الملائكة ، لأن الحشر للثواب والعقاب إنما هو للمكلفين الذين يحاسبون على ما قدموا في الحياة الدنيا ، أما الملائكة فقد أخبرنا ـ سبحانه وتعالى ـ أنهم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبالتالي لايحاسبون ولايحشرون .

---

(١) الآية (٧٥) من سورة الزمر .

أما من قال إن الملائكة تحشر ، فقد ذهب إلى أن الضمير في قوله (يوبنهم) عائد على الملائكة ، وبالتالي جعل الوصل جائزا .

أما الحيوانات والطيور ، فقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يقتص من الشاة القرناء للشاة العجماء ثم يقول لها كوني ترابا .

أما السِّقْطُ وهو الذي لم يتم ستة أشهر فإن ألقى بعد نفخ الروح فيه أعيد بروحه ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول ، وإن ألقى قبل نفخ الروح فيه كان كسائر الأجسام التي لا روح فيها ، فلا يحشر .

إلا أن الآية الكريمة قد استثنت من الصعق من شاء الله - تعالى - ألا يصعق في قوله - سبحانه - (إلا من شاء الله) الواردة في قوله - سبحانه وتعالى - (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) (١) .

---

(١) الآية (٦٨) من سورة الزمر .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم ؟ قال هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير مدّ خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة يقول عند طول النزهة انطلقوا بنا إلى ربنا لننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك إليهم إلهي وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه (١) .

وقيل إن الاستثناء واقع على من لا يموتون من حملة العرش بدليل قوله – تعالى – :

(فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (٢)

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٦٤

(٢) الآيات (١٣–١٧) من سورة الحاقة .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (... لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله قال ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أوَّلَ من بعث أوْ فى أوَّلَ مَنْ بعث فإذا بموسى عليه السلام آخذ بالعرش فلا أدرى أحُوسِب بصعقته يَوْمَ الطور أو بُعِثَ قبلى ..) وعلى ذلك لايصعق .

مراتب الناس في الحشر

مراتب الناس في الحشر متفاوتة ، فمنهم الراكب ومنهم المتقي ، ومنهم الماشي على رجليه وهو قليل العمل ، ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر .

قال تعالى :

(... ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) (١)

قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نفيع قال : سمعت أنسا بن مالك يقول : يارسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : (الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم) .

وروى عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أنه قال :

(إنكم تحشرون رجالا وركبانا وتجرون على وجوهكم)

---

(١) جزء الآية (٩٧) من سورة الإسراء .

الأدلة على الحشر :

الحشر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ومنكر الحشر كافر .

قال - تعالى - : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا . ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا)(١)

وقال - تعالى - :

(احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون . من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم . وقفوهم إنهم مسئولون)(٢)

وقال - تعالى - :

(يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير)(٣)

وقوله - صلى الله عليه وسلم - :

عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما خلقوا)(٤)

---

(١) الآية (٨٥، ٨٦) من سورة مريم .

(٢) الآيات (٢٢ : ٢٤) من سورة الصافات .

(٣) الآية (٤٤) من سورة ق .

(٤) سنن الترمذى ٤/٣٨ .

أنـواع الحشـر :

الحشـر في الدنيا نوعـان همـا :

١ ـ إخـراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشـام وهو المذكـور في قولـه ـ تعالى ـ : (هو الذى أخـرج الذين كفـروا مـن أهل الكـتاب من ديارهم لأول الحشـر ...) (١)

٢ ـ سوق النار التي تخـرج من أرض عـدن باليمن للكـفار وغيرهم من كل حي قرب قيـام الساعة إلى المحشر فتبيـت معهـم حيث باتوا وتقـيل معهم حيث قالوا فتـدور الدنيـا كلهـا وتطـير ولها دوى كـدوى الرعـد القاصف . والحكمـة منهـا الامتحـان والاختبار فمن علم أنها مرسـلة من عند الله وانساق معها سلم منها . ومن لم يكـن كـذلك أحرقتـه وأكلتـه وبعـد سوقهـا لهم الى المحشر يموتـون بالنفخـة الأولى بعد مدة .

وأما الحشر في الآخـرة فنوعـان أيضا :

١ ـ الحشر الذى نحن بصدده وهو سوق الناس إلى الموقف لفصـل القضـاء .

٢ ـ صرف الناس من الموقـف إلى الجنة أو النار .

---

(١) جزء الآية (٢) من سورة الحشـر .

الصــــــراط

الصـراط لغـة : الطريق الواضـح .

وشرعـــــا : جسـر ممـد ود على متن جهنم يرد ه الأولـــون والآخـرون حتى الكـفار ما عد ا من يلقـى منهم في النـار بد ون مرور على الصـراط ، وشـمل ما ذكر الأنبيـاء والصـد يقين ومن يد خـل الجنـة بغير حساب وكلهـم لايستطيعـون النطق لشـدة الحـال ماعـد ا الأنبيـاء فيقـولون : اللهـم سلم سلم كما ورد في الصحيحين .

وجاء في وصف الصـراط : أنه أد ق من الشعـرة وأحـد من السـيف .

وقد اتفق على وجـود الصـراط بقطع النظـر عن المراد منه ، فأهل السـنة أبقـوه على ظاهـره . أما المعتزلـة فقالوا إن المـراد بـه الأد لـة الواضحـة على الطاعـات ، لأن وجـود ه بما وصـف بـه لايمكـن العبور عليـه فيكـون عبثـا . أو هو طـريق الجنـة والنـار فطريـق الجنـة المشار إليه بقوله - تعالى - : (سيهد يهم ويصلح بالهـم) (١) وطريـق النـار المشار إليـه بقولـه - تعالـــى - :

---

(١) الآيـة (٥) من سورة محمـد .

(... فاهدوهم إلى صراط الجحيم)[1] .

١ - ذهبت المعتزلة إلى أن " الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة ، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار "[2] .

٢ - وذهب أهل السنة : إلى أن وجود الصراط بما وصف به من الممكنات ، وقد وردت النصوص القطعية به فيجب الإيمان به عملا بالنصوص .

قال - تعالى - :

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون)[3] .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : (ينصب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا أول من يجيز) .

---

(١) جزء الآية (٢٣) من سورة الصافات .
(٢) شرح الأصول الخمسة ص٧٣٨ .
(٣) الآية (٦٦) من سورة يس .

والحق وجوب اعتقاد وجود الصراط عملا بالنصوص مع تفويض علم حقيقته إلى الله - تعالى - .

ولا وجه لمن ينكر الصراط أو يؤول المراد منه أو ينكر المرور عليه ، لأن الله - تعالى - قادر على أن يمكن الخلق من العبور عليه ويسهله على المؤمنين حتى أن منهم من يجوز عليه كالبرق الخاطف ، ومنهم كالريح الهابة ، ومنهم كالجواد إلى غير ذلك ، مما ورد في الحديث . ولا اعتراض على ذلك إلا إذا كان المنكر منكرا لقدرة الله - تعالى - أما المقرون بقدرة الله - تعالى - فلا يمكن أن يعترضوا على شيء مما ورد في الحديث عن الصراط ، لأنه مأخوذ في الاعتبار قدرة الله - تعالى - الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

الحـــــوض

الحـوض : هو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكـــون على الأرض المبدلة وهى الأرض البيضاء كالفضة من شرب منـه لايظمأ أبدا ترده أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ •

ورد أن لكل نبى حوضا ترده أمته •

عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قـال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إن لكل نبى حوضا وإنهم يتباهـون أيهم أكثر واردة وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة) (١) •

وجاء فى صحيح مسلم أنه قال حدثنى أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا عبد الملك بن عمير قال : سمعت جندبا يقـول : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (أنا فرطكـم على الحـوض) (٢) •

وقد اختلفت الروايات فى تحديد سعته قلة وكثرة ولاتناقض لاحتمال أن الله سبحانه وتعالى أخبر ـ نبينا ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ أولا بالأقل ثم تفضل عليه بالأكثر •

---

(١) سنن الترمذى ٤٧/٤ •

(٢) صحيح مسلم ١٧٩٢/٤ •

روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء • من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا • أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا ، الدنس ثيابا ، الذين لاينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد • قال عمر : ولكني نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد • نكحت فاطمة بنت عبد الملك لاَ جَرَمَ أني لا أغسل رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ)(١) •

مكان الحوض :

اختلفت الآراء حول مكان الحوض إلى ثلاثة أقوال :

١ ـ الجمهور : الحوض محله قبل الصراط واستأنسوا لذلك بأن الناس سيخرجون من قبورهم عطاشى فيردون الحوض •

٢ ـ وذهب بعض العلماء الى أن محله بعد الصراط واستأنس

---

(١) سنن الترمذي ٤٧/٤ ومابعدها •

هذا البعض لرأيه بأن مياه الحوض ترد إليه من نهر الكوثر وهو نهر بداخل الجنة فلو كان الحوض قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذى ينصب فيه من الكوثر .

وقد اعترض على هذا الرأى بأنه لو كان بعد الصراط عند الجنة لما كانت هناك للشرب منه فائدة لأنهم أصبحوا فى دار الثواب التى بها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقد أجيب عن هذا الاعتراض بأن الناس تحبس بعد الصراط فى موقف القصاص لأجل أن يتحللوا من المظالم التى بينهم فيحتاجون إلى الشرب منه حينئذ .

٣ - وذهب بعض آخر إلى أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما قبل الصراط والآخر بعده . ويجب الاعتقاد بأن لنبينا - صلى الله عليه وسلم - حوضا مورودا ، ولا يضر كونه قبل الصراط أو بعده (١) .

---

(١) انظر : العقيدة الإسلامية فى ضوء النقل والعقل والقلب ص٥٧٦ .

ولقد أنكر المعتزلة الحوض ..

قال الأشعرى : " وأنكر المعتزلة الحوض وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة وروى عن أصحابه بلا خلاف "(١) .

والذى يشرب من هذا الحوض هو من وفى بعهده ، فلم يشرك ولم يرتد ولم يبدل ولم يحدث فى الدين مالا يرضاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولم يخالف جماعة المسلمين . والشرب من الحوض قد يكون لدفع العطش ، وقد يكون للتلذذ ، وقد يكون لتعجيل المسرة .

والمطرودون عن الشرب من الحوض قسمان :

قسم يطرد حرمانا وهم الكفار فلا يشربون منه أبدا .

وقسم يطرد عقوبة له ثم يشرب وهم عصاة المؤمنين فيشربون قبل دخولهم النار(٢) .

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص٦٦ .

(٢) انظر : شرح البيجورى على الجوهرة ص٢٣٥ .

العرش

العرش : هو جسم عظيم نورانى علوى محيط بجميع العالم .

وقيل إن العرش ليس كرويا بل هو قبة فوق العالم ذات أعمدة أربعة تحمله الملائكة فى الدنيا وعددهم أربعة وفى يوم القيامة يحمله ثمانية لزيادة الجلال والعظمة فى الآخرة . (١)

قال تعالى :

(... ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (٢)

وقوله - عليه الصلاة والسلام - :

(... وكان عرشه على الماء ...) (٣)

والأولى عدم القطع بتعيين حقيقة العرش لعدم العلم به . فانه لايعلم حقيقته إلا الله - سبحانه وتعالى - فيجب الإيمان به وتفويض العلم فيه إلى الله - تبارك وتعالى - من ناحية كمه وكيفه وهيئته وكل ما يتصل به من قريب أو بعيد لأنه غيب ولا يعلم

---

(١) انظر شرح البيجورى على الجوهرة ص٢٢٨ ومابعدها .

(٢) من الآية (١٧) من سورة الحاقة .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ٦/١٣ .

الغيب إلا الله .

وقد وقع الناس فى أخطاء كثيرة فيما يتصل بالعرش . شأنهم فى ذلك شأن كل من يخوض فى أمر لايجيده ، وشأن كل من يبحث فى الغيب الذى استأثر الحق بعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ .

فمنهم من قال : إنه جسم عظيم نورانى علوى محيط بجميع العالم . ومنهم من قال : بأنه قبة فوق العالم ذات أعمدة أربعة .. .
ومنهم من ذهب إلى أنه حادث ، حتى لايكون هناك قديم سوى الله ـ سبحانه ـ .

ومنهم من قال : إنه قديم .

ومن أشهر الاختلافات الشهيرة حول العرش : الاختلاف حول معنى الاستواء عليه ، حيث ذهب أهل السنة إلى أن الاستواء معنى لايعلمه إلا الله ـ سبحانه ـ وفوضوا .

وذهب المعتزلة ومن جرى مجراهم إلى أن الاستواء معناه الاستيلاء .

الكرسي

من الأمور الغيبية التي ورد الشرع بها " كتابا وسنة " وهو ثابت بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وإجماع المسلمين .

أما القرآن الكريم . فيقول الله - تعالى - : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) (١) .

وأما السنة النبوية فقوله - عليه الصلاة والسلام - :

عن أبي ذر - رضي الله عنه - (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض ...)

والكرسي من الغيب الذي لا يجوز أن نضرب فيه على غير هدى من كتاب أو سنة . ولذا يجب الوقوف في شأنه وشأن كل ما يتصل به عند حدود الشرع الشريف .

---

(١) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

القلم

القلم : هو جسم عظيم نوراني خلقه الله تعالى وأمره أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة • ويجب الإيمان به وتفويض علم حقيقته إلى الله — تعالى — لأنه من الأمور الغيبية •

قال — تعالى — : (ن والقلم وما يسطرون) (١)

اللوح المحفوظ

اللوح : هو جسم عظيم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما يكون إلى يوم القيامة •

قال تعالى (بل هو قرآن مجيد • في لوح محفوظ) (٢)

والأولى الإمساك عن الجزم بحقيقته وتفويض علمه إلى الله — تبارك وتعالى — لأنه من الأمور الغيبية •

وقد خلق الله — عز وجل — العرش والكرسي والقلم واللوح المحفوظ والكاتبين لحكمة يعلمها — سبحانه — ولم يخلقها لاحتياجه إليها فلم

---

(١) الآية (١) من سورة القلم •

(٢) الآيتان (٢١، ٢٢) من سورة القلم •

يخلق العرش للارتقاء ولا الكرسي للجلوس ولا القلم لاستحضار ما غاب عن علمه - تعالى - ولا الكتبة ولا اللوح لضبط ما يخاف نسيانه . ويجب الإيمان بهذه المخلوقات لأن الإيمان بها أمر تعبدي .

الشفاعة

الشفاعة لغة : الوسيلة والطلب .

وشرعا : سؤال الخير من الغير للغير .

وشفاعة المشفَّع بفتح الفاء المشددة هو الذى تقبل شفاعته وبكسرها هو الذى يقبل شفاعة غيره .

والنبى - صلى الله عليه وسلم - شافع مشفع أى مقبول الشفاعة ومقدم على غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربون .(١)

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة . وأول من ينشق عنه القبر . وأول شافع وأول مشفع)(٢)

قال تعالى :-

(... ما من شفيع إلا من بعد إذنه ...)(٣)

---

(١) انظر شرح البيجورى على الجوهرة ص٢٣٦ .

(٢) صحيح الإمام مسلم ٤/١٧٨٢ .

(٣) جزء الآية (٣) من سورة يونس .

أنـــواع الشفاعـــة

ذكر العلماء أن الشفاعة التي منحت لرسول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ تنقسم إلى خمسة أنواع :

١ ـ الشفاعة العظمى :

وهي الشفاعة في فصل القضاء لإراحة الخلق جميعـا من طول الموقف وأهوالـه . فقد ورد أن الناس حين يشتد عليهم الموقف ويتمنون الانصراف ولو إلى النار فليلهمون أن الأنبياء هم الواسطة بين اللـه وخلقه فيذهبون إلى آدم ـ عليه السلام ـ ويقولون لـه أنت أبو البشر اشفع لنا فيقول : لَسْتُ لها ، لست لها ، نفسي نفسي لا أسأل اليوم غيرها ويعتذر بالأكل من الشجرة . فيذهبون إلى نوح ويسألونه الشفاعة فيعتذر لهم وهكذا كل نبي فيذهبون إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويسألونه الشفاعة فيقول : أنا لها أمتي أمتي فيسجد تحت العرش وينادى من قبل اللـه تعالى يامحمد ارفع رأسك واشفع تشفع فيرفع رأسه ويشفع في فصل القضاء وحينئذ يفتح باب

الشفاعة . والشفاعة العظمى مختصة بالنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهى أول المقام المحمود المذكور فى قوله ـ تعالى ـ :

(... عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) (١)

أى يحمدك فيه الأولون والآخرون وآخره استقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار .

وحديث الشفاعة العظمى رواه البخارى ومسلم وكتب السنن عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال :

(... فيأتون محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه . فأَنْطَلِقُ فآتى تحت العرش فأَخِرُّ ساجدا لربى . ثم يفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى . ثم يُقال يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول يارب أمتى يارب أمتى يارب أمتى . فيقول يا محمد أَدْخِلْ من أمتك مَنْ لا حساب عليه من الباب الأيمن

---

(١) جزء الآية (٧٩) من سورة الإسراء .

من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى)(١)

٢ - الشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب وهى مختصة بالنبى - صلى الله عليه وسلم - .

٣ - الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها ويشارك النبى - صلى الله عليه وسلم - فى هذا النوع الأنبياء والمرسلين والملائكة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء .

وهذه الأنواع الثلاثة لم يخالف فيها أحد .

٤ - الشفاعة فى إخراج الموحدين من النار .

٥ - الشفاعة فى عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها .

وخالف فى هذين النوعين الأخيرين المعتزلة والخوارج (٢) .

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بما يلى :

---

(١) سنن الترمذى ٤٣/٤ ومابعدها .

(٢) انظر : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥٣/٤ .

١ - قوله تعالى - فى شأن المجرمين وأسباب دخولهم "سقر" :

(فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (١)

٢ - قوله - تعالى - :

(واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ...) (٢)

٣ - قوله - تعالى - : (فما لنا من شافعين) (٣)

٤ - قوله - تعالى - :

(... ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) (٤)

٥ - وقوله - تعالى - :

(يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) (٥)

---

(١) الآية (٤٨) من سورة المدثر .

(٢) جزء الآية (٤٨) من سورة البقرة .

(٣) الآية (١٠٠) من سورة الشعراء .

(٤) جزء الآية (١٢٣) من سورة البقرة .

(٥) الآية (١٩) من سورة الانفطار .

الرد على الأدلة التي استدلوا بها :

١ - أن العموم في هذه الآيات خُصِّص بالشفاعة لزيادة الدرجات حيث اتفق على حصولها للمؤمنين فحينئذ يجوز تخصيصها بخبر الواحد وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - ، (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)

وقد جاء في القرآن الكريم مايدل على صحة الشفاعة .

قال - تعالى - :

(يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا)(١)

وقال - تعالى - :

(... ما من شفيع إلا من بعد إذنه ...)(٢)

٢ - إن القرآن الكريم قد اشتمل على آيات في موضوع واحد بعضها ينفيه وبعضها يثبته ولايمكن أن يكون محل النفي والإثبات واحدا لئلا يلزم التناقض وهو محال فوجب أن تكون الشفاعة المنفية غير الشفاعة المثبتة ، فالشفاعة المنفية

---

(١) الآية (١٠٩) من سورة طه .

(٢) جزء الآية (٣) من سورة يونس .

هي الشفاعة للكفار والشفاعة المثبتة هي الشفاعة لمذنبي هذه الأمة . قال - صلى الله عليه وسلم - (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) .

وقال تعالى : (... واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ...) (١)

وصاحب الكبيرة مؤمن واستغفار النبي المأمور به قبل التوبة يقبل لقوله - تعالى - :

(ولسوف يعطيك ربك فترضى) (٢)

وأما حديث (لا ينال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي) فموضوع باتفاق وعلى فرض صحته فهو محمول على من ارتد منهم . بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - :

(أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لايشرك بالله شيئا) .

---

(١) جزء الآية (١٩) من سورة محمد .

(٢) الآية (٥) من سورة الضحى .

حكم الشفاعة

الإيمان بالشفاعة واجب شرعا بالكتاب والسنة •

الأدلة من القرآن الكريم :-

قوله - تعالى - :

(••• ما من شفيع إلا من بعد إذنه •••)(١)

وقوله تعالى :-

(فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم)(٢)

وصاحب الكبيرة مؤمن واستغفار النبى مقبول •

والدليل على الشفاعة من السنة النبوية :-

قوله - صلى الله عليه وسلم - : (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) •

ووجه الدلالة أن غفران الذنوب غير الكفر جائز عقلا وسمعا بلا شفاعة فبالشفاعة أولى ه أما غفران الكفر وإن جاز عقلا فإنه

---

(١) جزء الآية (٣) من سورة يونس •

(٢) الآية (١٩) من سورة محمد •

ممتنع سمعا لقوله - تعالى - :

(إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ...) (١)

ولعل الحكمة في غفران الذنوب دون الكفر ان الكافر لايعتقد نقص نفسه فلا يخاف عقابا ولا يرجو عفوا بخلاف صاحب الذنوب فانه يعتقد نقص نفسه فيخاف العقاب ويرجو العفو.

---

(١) جزء الآية (٤٨) من سورة النساء .

الجنة

الجنة لغة : البستان .

ويراد بها هنا : دار الثواب التي أعدها الله - تبارك وتعالى - للمؤمنين من عباده .

وقد اختلفت الآراء في الجنة . هل هي واحدة ، أو متعددة ؟ ومنشأ الخلاف هو تعدد أسمائها الواردة في الشرع " كتابا وسنة " والتي منها :

١ - الفردوس :

يقول - تبارك وتعالى - :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا)(١)

وقال - عليه الصلاة والسلام - :

(إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن)

---

(١) الآية (١٠٧) من سورة الكهف .

٢ ـ عـدن :

يقـول ـ تعالى ـ :

(أولئـك لهم جنات عـدن تجـرى من تحتهم الأنهـــار يحلـون فيها من أســاور من ذهب ويلبسـون ثيابا خضـرا من سندس واستبرق متكئـين فيها على الأرائـك نعـم الثـواب وحسنت مرتفقـا) (١) .

٣ ـ الخـلد :

يقـول ـ سبحـانه وتعالى ـ :

(قل أذلك خـير أم جنـة الخـلد التى وعـد المتقون كانـت لهم جـزاء ومصـيرا) (٢) .

٤ ـ النعـيم :

قال ـ تعـالى ـ :

(والسابقـون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم) (٣)

---

(١) الآيـة (٣١) من سورة الكهف .

(٢) الآيـة (١٥) من سورة الفرقـان .

(٣) الآيـات (١٠ : ١٢) من سورة الواقعة .

٥ - المأوى :

قال - تعالى - :

(ولقد رآه نزلة أخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة المأوى) (١)

٦ - دار السلام :

قال - تعالى - :

(لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) (٢)

من هنا كان اختلاف الآراء :

١ - فقد قيل إن الأسماء السابقة من الفردوس وعدن والمأوى وغيرها أسماء لجنات متعددة •

واستدلوا على ذلك بالنص الوارد في تعدد الجنة وهو (جنات النعيم) وقوله (إن المتقين في جنات وعيون) وقوله (إن المتقين في جنات ونهر) فحجة المعددين هو جمع كلمة جنة في القرآن الكريم •

---

(١) الآيات (١٣ : ١٥) من سورة النجم •

(٢) الآية (١٢٧) من سورة الأنعام •

وذهب ابن كثير والرازي إلى أنهما أكثر من جنة واستدلوا على ذلك بقوله - تعالى - :

(ولمن خاف مقام ربه جنتان) (١)

وقوله - تعالى - :

(ومن دونهما جنتان) (٢)

يقول الرازي : " الصحيح أنهما جنتان وفيه وجوه :

أحدها : أنهما جنة للجن وجنة للإنس لأن المراد هذان النوعان .

وثانيهما : جنة لفعل الطاعات ، وجنة لترك المعاصي لأن التكليف بهذين النوعين .

وثالثها : جنة هي جزاء وجنة أخرى زيادة على الجزاء .....

(وعندما ذكر قوله تعالى (ومن دونهما جنتان) قال لما ذكر الجزاء ذكر بعده مثله وهو جنتان أخريان) (٣) .

---

(١) الآية (٤٦) من سورة الرحمن .

(٢) الآية (٦٢) من سورة الرحمن .

(٣) التفسير الكبير م ١٥ / ج ٢٩ / ص ١٢٤ .

٢ - وقيل إن الجنة واحدة وهذه الأسماء كلها جارية عليها لتحقق معانيها إذ يصدق على الجميع جنة عدن أي إقامة ، وجنة المأوى أي مأوى المؤمنين حيث ظل المؤمنون يجدّون ويجتهدون لكي يأوون إليها ، وجنة الخلد ودار السلام لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن ، وجنة النعيم لأنها مشحونة بجميع أصنافه

مكان الجنة : فوق السموات السبع وتحت العرش .

والذي يجب الإيمان به أن هناك دارا أعدها الله - سبحانه وتعالى - للمتقين ، سماها الجنة ، فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

أما كون الجنة واحدة أو متعددة ، فيجب أن يفوض علمها إلى الله - سبحانه وتعالى - .

أما هيئاتها ، وصفاتها ، ومحتواها ، ومكانها ، وعددها وكمها ، وكيفها ، فما جاء ذكر في القرآن العظيم تفصيلا ،

آمنا بـه تفصيلا ، وما جاء مجملا ، آمنا بـه مجملا [illegible]
وما لم يرد له ذكر فوضنا العلم فيه إلى اللـه - سبحانه
وتعالى - ذلك أن الجنة غيب من غيب الله - عز وجل -
وسبيلنا إلى الغيب أمران :

صريح الكتاب ، وصحيح السنة ، وإلا فالتفويض .

النــــار

النار لغة : جسم لطيف محرق ٠

ويراد بها هنا : دار العقاب التى أعدها الله - سبحانه وتعالى - للعصاة ٠

وللنار أسماء ورد بها الشرع الشريف منها :

١ - جهنم :

يقول - تبارك وتعالى - :

(ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) (١)

وقال - عليه الصلاة والسلام - :

(من يقل علىّ ما لم أقل أو ادعى إلى غير والديه أو لينتمى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار - وفى رواية - فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا) (٢) ٠

٢ - لظى :

يقول - سبحانه وتعالى - :

(كلا إنها لظى ٠ نزاعة للشوى) (٣)

---

(١) الآية (٨٦) من سورة مريم (٢) أورده ابن كثير فى تفسيره ٣/٢١٠

(٣) الآيتان (١٥، ١٦) من سورة المعارج ٠

٣ ـ الحطمة :

يقول ـ تعالى ـ :

(كلا لينبذن في الحطمة • وما أدراك ما الحطمة •
نار الله الموقدة)(١)

٤ ـ السعير :

يقول ـ عز وجل ـ :

(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه
ليكونوا من أصحاب السعير)(٢) •

٥ ـ سقر :

قال ـ تعالى ـ :

(ما سلككم في سقر • قالوا لم نك من المصلين)(٣)

٦ ـ الجحيم :

قال تعالى :

(وبرزت الجحيم للغاوين)(٤)

---

(١) الآيات (٤ : ٦) من سورة الهمزة •
(٢) الآية (٦) من سورة فاطر •
(٣) الآيتان (٤٢، ٤٣) من سورة المدثر •
(٤) الآية (٩١) من سورة الشعراء •

٧ ـ الهـاوية :

قـال ـ تعالى ـ :

(وأما من خفت موازينه • فأمـه هاوية • وما أدراك ماهيه • نـار حامـية) (١)

ودار العقاب سبع طبقات أعلاها وأقلها عذابـا جهـنم وهـى لمن يعذب على قدر ذنبه من المؤمنـين وتصير خرابا بخروجهـم • وتحتها لظـى وهى لليهود ، ثم الحطمـة وهى للنصـارى ، ثـم السعير وهى للصابئـين ، ثم سـقر وهى للمجوس ، ثم الجحيـم وهى لعـبدة الأصـنام ، ثم الهاوية وهى للمنافقـين •

ومكان النار : تحت الأرضـين السـبع ، والأولى فى هـذا المقام أن يفوض العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ فى كونها سبع طبقات أو أكـثر ، وكـذلك فى مكانها ، وما علينـا إلا أن نؤمـن بما ورد دون زيـادة أو نقصـان ، أما ما لم يرد به ذكـر فيفوَّض علمـه إلى العليـم الخبيـر ـ سبحـانه ـ •

---

(١) الآيـات (٨ : ١١) من سورة القارعـة •

خـلق الجنـة والنار

اختلفت الآراء حول الجنـة والنار ٠ هل هما موجودتـان أم ستوجـدان يوم الجـزاء والحسـاب ؟

ومنشأ الخلاف هو الوقـوف عند حد النصوص كما هو عنـد أهل السنـة ، أو الاجتهاد والتأويـل فيها كما هو عنـد المعتزلـة وأشباههـم من المؤولـة ٠

١ — ذهب جمهور المسلمين : إلى أن الجنة والنـار موجـودتان ومخلوقتـان ٠ ولهم أدلة على ذلك :

أولا : قوله — تبارك وتعالى — في الجنـة :

(وسارعـوا إلى مغفـرة من ربكم وجنـة عرضها السمـوات والأرض أعدت للمتقـين) (١)

وقوله — تعـالى — في النـار :

(٠٠٠ واتقوا النار التي أعـدت للكافريـن) (٢)

ثانيا : أن التعبير بلفـظ الماضي في قوله — تعالى — : (أعدت) يدل على التصريح بأنهما أعـدتا ، والتصريح بأنهمـا

---

(١) الآية (١٣٣) من سورة آل عمـران ٠

(٢) جزء الآيـة (١٣١) من سورة آل عمـران ٠

أعدتا دليل على أن وجودهما قائم ، كما يدل على وجود الجنة والنار ما تواترت به الأخبار فى قصة المعراج والمرائى التى وقعت لسيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى تلك الرحلة ، وهى من وقائع الجنة والنار والأحاديث التى ذكرت صفات الجنة والنار .

ولقد تحدث الرازى عن نفس المعنى السابق فقال :

" إن قوله (أعدت) إخبار عن الماضى فلابد من أن يكون قد دخل ذلك الشىء فى الوجود . أما قوله (أعدت للمتقين) فظاهره يدل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وقد سبق تقرير ذلك فى قوله — تعالى — : (الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) اعلم أنه تعالى لما بين أن الجنة معدة للمتقين ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الإنسان من اكتساب الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات . (١)

---

(١) التفسير الكبير : م٥ / ج ٩ / ص ٤، ٧

ثالثا : قولــه تعالى : (ولقد رآه نزلــة أخرى • عند سدرة المنتهى عندها جنــة المــأوى)(١)

فالآية الكريمــة قد صرحت أولا بأن الجنــة هى عند ســـدرة المنتهى ، فهى إذن موجــودة ، ووجودها ثابــت •

كما أن الآيــة تدل ثانيا على أن الجنــة فوق السموات السبع •

عن ابن مسعود قال : (لما أســرى برسول الله — صلى اللــه عليــه وسلم — انتهى بــه إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة إليها ينتهـــى ما يعــرج به من الأرض فيقبــض منها وإليها ينتهـــى ما يهــبط بــه من فوقهــا فيقبــض منها) •

رابعا : قصــة آدم وحــواء وسكناهما فى الجنــة وخروجهما منهـــا بسبب الأكــل من الشجرة • ووصف الجنــة التى كــان فيهــا آدم — عليه السلام — كوصف للجنــة التى هى دار الآخــرة ، واتحاد الوصف يرجع إلى اتحــاد الموصــوف •

قال تعالى فى وصف الجنــة التى أسكن آدم — عليه السلام — فيها :

---

(١) الآيات (٨ : ١٥) من سورة النجــم •

(إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى)(١)

وقال - تعالى - في وصف جنة الآخرة :

(... لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا)(٢)

٢ - وذهب المعتزلة إلى إنكار خلق الجنة والنار ، وقالوا إنهما سيوجدان يوم الجزاء .

وأدلتهم على ذلك :

أ - أن الله - تعالى - قال : (.. وجنة عرضها السموات والأرض)(٣) فلقد ذهب ابن كثير الى أن معنى قوله عرضها السموات والأرض تنبيه إلى اتساع طولها .

ب - أن وجودهما للثواب والعقاب . ولا ثواب ولاعقاب الآن فوجودهما عبث ، إذ لا فائدة في خلقهما قبل الثواب والعقاب ، وحملوا ما نصت عليه الآية في قصة آدم على أنه كان بستانا من بساتين الدنيا .

---

(١) الآيتان (١١٨، ١١٩) من سورة طه .

(٢) جزء الآية (١٣) من سورة الإنسان .

(٣) جزء الآية (١٣) من سورة آل عمران .

حـ - قوله - تعالى - : (... أكلها دائم ..)(١)

فلو كانت موجودة للحقها الفناء . لقوله تعالى :
(كل شيء هالك إلا وجهه)(٢) ولا يجوز هلاك مأكولها
إذا فلا توجد إلا في الآخرة .

الرد عليهم :

يُرَدُّ على الآية الأولى بأمور :

أ - أن الجنة ورد في وصفها من القرآن الكريم قول الله تعالى :
(.. عرضها كعرض السموات والأرض)(٣)

فالآية المستشهد بها مطلقة ، والآية التي معنا مقيدة بكاف التشبيه ، والمطلق يحمل على المقيد كما هو مقرر أصوليا . فيكون المعنى في الآيتين أن عرض الجنة كعرض السموات والأرض ولا حرج في ذلك .

وروى أن رسول هرقل سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال إنك تدعو إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت

---

(١) جزء الآية (٣٥) من سورة الرعد .
(٢) الآية (٨٨) من سورة القصص .
(٣) جزء الآية (١٣٣) من سورة آل عمران .

للمتقين فأين النار ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -:
سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار •

والمعنى والله أعلم أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب ، فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل •

وسئل أنس بن مالك عن الجنة أفي الأرض أم في السماء • فقال وأى سماء تسع الجنة ، قيل فأين هي ؟ قال فوق السموات السبع وتحت العرش" •

ب - أن الاعتراض إنما يرد إذا ما اعتقدنا أن ملك الله - تعالى - محدود بحدود السموات والأرض •

ولكن الحق أن السموات والأرض من ملك الله شيء لا يذكر ، وملك الله لا حدود له ، ولا يحد بالسموات والأرضين •

يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ما السموات والأرضون من عرش الله إلا كحلقة ملقاة في فلاة) •

ب — أن حكمة وجود الجنة والنار يعلمها اللـه · وليس كل موجود تعلم حكمة وجوده ، وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وجودهما ، فيجب الإيمان به ، كما أن أفعال البارى — سبحانه — لاتحمل على الأغراض على أصول أهل الحق وهو — تعالى — يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ·

أما ما ورد فى قصة آدم — عليه السلام — من أنه كان فى بستان من بساتين الدنيا فهذا " تلاعب بالدين ، وانسلال عن اجماع المسلمين "(١) ·

فقد ورد فى رأى جمهور المسلمين أن الجنة التى كان بها آدم — عليه السلام — هى الجنة التى هى دار الآخرة ، والدليل على أنها لم تكن فى الأرض قوله الله — تبارك وتعالى — لآدم — عليه السلام — وزوجه : اهبطا · والهبوط لايكون إلا من علو إلى سفل ·

---

(١) الإرشاد للجوينى ص ٣٧٨

جـ – أما قوله – تعالى – :

(أكلها دائم) فهذا مستثنى من الهلاك ، أو أن هلاكه بمعنى قبوله للهلاك ، أو المراد الهلاك البدلي بمعنى أن ما أكل منها يفنى ويوجد غيره ٠

عن ثوبان - رضي الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى) ٠

نصوص مختارة من كتاب

الاقتصاد في الاعتقاد

للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى

نصوص من كتاب "الاقتصاد فى الاعتقاد"

للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى

للمؤلف منهج خاص فى كتابه حيث قسمه إلى أربعة أقطاب أدرج تحتها عدة دعاوى إلا أننا هنا سوف نتناول قطبين فقط هما (الثالث والرابع) وتسهيلا للطالبات سوف نطلق عليهما اسم (موضوعات) :

الموضوع الأول : هل يجوز لله تعالى أن لايخلق الخلق ؟

قال الإمام الغزالى : " ندعى أنه يجوز لله تعالى أن لايخلق الخلق وإذا خلق فلم يكن ذلك واجبا عليه وإذا خلقهم فله أن لايكلفهم وإذا كلفهم فلم يكن ذلك واجبا عليه ، وقالت طائفة من المعتزلة يجب عليه الخلق والتكليف بعد الخلق ،وبرهان الحق فيه أن نقول قول القائل الخلق والتكليف واجب غير مفهوم فإنا بينا أن المفهوم عندنا من لفظ الواجب ماينال تاركه ضرر إما عاجلا وإما آجلا أو ما يكون نقيضه محال والضرر محال فى حق الله تعالى وليس فى ترك التكليف وترك الخلق لزوم محال إلا أن يقال كان يؤدى ذلك إلى خلاف ماسبق به العلم فى الأزل وماسبقت به المشيئة فى الأزل فهذا حق وهو بهذا التأويل واجب فإن الإرادة إذا فرضت موجودة أو العلم إذا فرض متعلقا بالشىء كان حصول المراد المعلوم واجبا لا محالة .

فإن قيل إنما يجب عليه ذلك لفائدة ترجع إلى الخلق

لا لفائدة ترجع إلى الخالق سبحانه وتعالى : قلنا الكلام فى قولكم لفائدة الخلق للتعليل والحكم المعلل هو الوجوب ونحن نطالبكم بتفهيم الحكم فلا يعنيكم ذكر العلة فما معنى قولكم إنه يجب لفائدة الخلق وما معنى الوجوب ونحن لا نفهم من الوجوب إلا المعانى الثلاثة وهى منعدمة ، فإن أردتم معنى رابعا ففسروه أولا ثم اذكروا علته فانا ربما لاننكر أن للخلق فى الخلق فائدة وكذا فى التكليف ولكن ما فيه فائدة غيره لم يجب عليه إن لم يكن فائدة غيره وهذا لا مخرج عنه أبدا ، على أنا نقول إنما يستقيم هذا الكلام فى الخلق لا فى التكليف ولا يستقيم فى هذا الخلق الموجود بل فى أن يخلقهم فى الجنة متنعمين من غيرهم وضرر وغم وألم وأما هذا الخلق الموجود فالعقلاء كلهم قد تمنوا العدم .

وقال بعضهم ليتنى كنت نسيا منسيا ، وقال آخر ليتنى لم أك شيئا ، وقال آخر ليتنى كنت تبنة رفعها من الأرض ، وقال آخر يشير إلى طائر ليتنى كنت ذلك الطائر وهذا قول الأنبياء والأولياء وهم العقلاء فبعضهم يتمنى عدم الخلق وبعضهم يتمنى عدم التكليف بأن يكون جمادا أو طائرا فليت شعرى كيف يستجر العاقل فى أن يقول للخلق فى التكليف فائدة وإنما معنى الفائدة

نفى الكلفة والتكليف فى عينه إلزام كلفة وهو ألم وإن نظر إلى الثواب فهو الفائدة وكان قادرا على إيصاله إليهم بغير تكليف ٠

فإن قيل الثواب إذ كان باستحقاق كان ألذ وأوقع من أن يكون بالامتنان والابتداء ٠

والجواب أن الاستعاذة بالله تعالى من عقل ينتهى إلى التكبر على الله عز وجل والترفع من احتمال منته وتقدير اللذة فى الخروج من نعمته أولى من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، وليت شعرى كيف يعد من العقلاء من يخطر بباله مثل هذه الوساوس ومن يستثقل المقام أبد الآباد فى الجنة من غير تقدم تعب وتكليف أخس من أن يناظر أو يخاطب هذا لو سلم أن الثواب بعد التكليف يكون مستحقا وسنبين نقيضه ، ثم ليت شعرى الطاعة التى بها يستحق الثواب من أين وجدها العبد وهل لها سبب سوى وجوده ، وقدرته وإرادته وصحة أعضائه وحضور أسبابه ؟ وهل لكل ذلك مصدر إلا فضل الله ونعمته فنعوذ بالله من الانخلاع عن غريزة العقل بالكلية فإن هذا الكلام من هذا النمط فينبغى أن يسترزق الله تعالى عقلا لصاحبه ولا يشتغل بمناظرته ٠

الموضوع الثاني : تكليف الله العباد بما يطيقونه ومالا يطيقونه :

قال الإمام الغزالي : "إن لله تعالى أن يكلف العباد ما يطيقونه وما لا يطيقونه وذهبت المعتزلة إنكار ذلك ومعتقد أهل السنة أن التكليف له حقيقة في نفسه وهو أنه كلام وله مصدر وهو المكلف ولا شرط فيه إلا كونه متكلما وله مورد وهو المكلف ولا شرط فيه إلا كونه متكلما وله مورد وهو المكلف وشرطه أن يكون فاهما للكلام فلا يسمى مع الجماد والمجنون خطابا ولا تكليفا والتكليف نوع الخطاب وله متعلق وهو المكلف به وشرطه أن يكون مفهوما فقط وأما كونه ممكنا فليس بشرط لتحقيق الكلام فإن التكليف كلام فإذا صدر ممن يفهم مع من يفهم فيما يفهم وكان المخاطب دون المخاطب سمى تكليفا وإن كان مثله سمى التماسا وإن كان فوقه سمى دعاء وسؤالا ، فالاقتضاء في ذاته واحد وهذه الأسامى تختلف عليه باختلاف النسبة وبرهان جواز ذلك أن استحالته لاتخلو إما أن تكون لامتناع تصور ذاته كاجتماع السواد والبياض أو كان لأجل الاستقباح وباطل أن يكون امتناعه لذاته فإن السواد والبياض لايمكن أن يفرض مجتمعا وفرض هذا ممكن ،

إذ التكلف لايخلو إما أن يكون لفظا وهو مذهب الخصم وليس يستحيل أن يقول الرجل لعبده الزمن قم فهو على مذهبهم أظهر وأما نحن فإنا نعتقد أنه اقتضاء يقوم بالنفس ، وكما يتصور أن يقوم اقتضاء القيام بالنفس من قادر فيتصور ذلك من عاجز بل ربما يقوم ذلك بنفسه من قادر ثم يبقى ذلك الاقتضاء ونظر الزمانة والسيد لايدرى ويكون الاقتضاء قائم بذاته وهو اقتضاء قائم من عاجز فى علم الله تعالى وإن لم يكن معلوما عند المقتضى فإن علمه لايجعل بقاء الاقتضاء مع العلم بالعجز عن الوفاء وباطل أن يقال بطلان ذلك من جهة الاستحسان فإن كلامنا فى حق الله تعالى وذلك باطل فى حقه لتنزهه عن الأعراض ورجوع ذلك إلى الأغراض أما الإنسان العاقل المضبوط بغالب الأمر فقد يستقبح ذلك وليس ما يستقبح من العبد يستقبح من الله تعالى .

فإن قيل : فهو مما لا فائدة فيه فهو عبث والعبث على الله تعالى محال . قلنا : هذه ثلاث دعاوى :

الأولى : أنه لا فائدة فيه ولانسلم فلعل فيه فائدة للعباد اطلع الله عليها وليست الفائدة هى الامتثال والثواب عليه بل ربما يكون فى إظهار الأمر وما يتبعه من اعتقاد التكليف فائدة فقد ينسخ

الأمـر قبل الامتثـال كما أمر إبراهيم عليه الســلام بذبح ولده ، ثم نسخه قبل الامتثـال وأمر أبا جهـل بالإيمان وأخـبره أنه لايؤمن وخــلاف خـبره محـال .

الدعوى الثانية : أن مالا فائدة فيه فهو عبـث فهذا تكرار عبارة فإنـا بينا أنه لايراد بالعـبث إلا مالافائـدة فيه فإن أريـد به غيره فهو غير مفهـوم .

الدعوى الثالثة : أن العبث على الله تعالى محال وهذا فيه تلبيـس لأن العبث عـبارة عن فعل لا فائدة فيـه ممن يتعرض للفوائد ، فمـن لايتعرض لها فتسميته عابثـا مجاز محض لا حقيقة له يضاهى قول القائل الريح عابثـة بتحريكهـا الأشجـار إذ لا فائدة لها فيه وأيضا هى قول القائـل الجدار غافل أى هو خـال عن العلم والجهل وهذا باطـــل لأن الغافـل يطلق على القابـل للجهل والعلم إذا خلا عنهمــــا فإطلاقهمـا على الذى لايقـبل العلم مجاز لا أصل له وكذلك إطـــلاق اسم العابث على الله تعالى وإطلاق العبث على أفعاله سبحانه وتعالى .

الدليل الثانى : فى المسألة ولامحيص لأحد عنه أن الله تعالى كلف أبا جهل أن يؤمـن وعلم أنه لايؤمن وأخـبر عنه بأن لايؤمـن فكأنه أمـــر بأن يؤمن بأنه لايؤمـن فكـأنه أمـر بأن يؤمن بأنه لايؤمـن إذا كان

من قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤمن وكان هو مأمورا بتصديقه فقد قيل له صدق بأنك لا تصدق وهذا محال وتحقيقه أن خلاف المعلوم محال وقوعه ولكن ليس محال لذاته بل هو محال لغيره والمحال لغيره فى امتناع الوقوع كالمحال لذاته ومن قال إن الكفار الذين لم يؤمنوا ما كانوا مأمورين بالإيمان فقد جحد الشرع ومن قال كان الإيمان منهم متصورا مع علم الله سبحانه وتعالى أنه لا يقع فقد اضطر كل فريق إلى القول بتصور الأمر بما لا يتصور امتثاله ولا يغنى عن هذا قول القائل إنه كان مقدورا عليه وكان للكافر عليه قدرة ، أما على مثلنا فلا قدرة قبل الفعل ولم تكن لهم قدرة إلا على الكفر الذى صدر منهم وأما عند المعتزلة فلا يمتنع وجود القدرة ولكن القدرة غير كافية لوقوع المقدور بل له شرط كالإرادة وغيرها ومن شروطه أن لا ينقلب علم الله تعالى جهلا والقدرة لا تراد لعينها بل ليتيسر الفعل بها فكيف يتيسر فعل يؤدى إلى انقلاب الفعل جهلا فاستبان أن هذا واقع فى ثبوت التكليف بما هو محال لغيره فكذا يقاس عليه ما هو محال لذاته إذ لا فرق بينهما فى إمكان التلفظ ولا فى تصور الاقتضاء ولا فى الاستقباح والاستحسان .

الموضوع الثالث : لايجب على الله تعالى رعاية الأصلح لعباده :

قال الإمام الغزالي : " ندعي أنه لايجب عليه رعاية الأصلح لعباده ، بل له أن يفعل مايشاء ويحكم بما يريد خلافا للمعتزلة فإنهم حجروا على الله تعالى في أفعاله وأوجبوا عليه رعاية الأصلح ويدل على بطلان ذلك مادل على نفي الوجوب على الله تعالى كما سبق وتدل عليه المشاهدة والوجود فإنا نريهم من أفعال الله تعالى مايلزمهم الاعتراف به بأنه لا صلاح للعبيد فيه فإنا نفرض ثلاثة أطفال مات أحدهم وهو مسلم في الصبا وبلغ الآخر وأسلم ومات مسلما بالغا وبلغ الثالث كافرا ومات على الكفر فإن العدل عندهم أن يخلد الكافر البالغ في النار وأن يكون البالغ المسلم في الجنة رتبة فوق رتبة الصبي المسلم فإذا قال الصبي المسلم يارب لم حططت رتبتي عن رتبته فيقول لأنه بلغ فأطاعني وأنت لم تطعني بالعبادات بعد البلوغ فيقول يارب لأنك أمتني قبل البلوغ فكان صلاحي في أن تمدني بالحياة حتى أبلغ فأطيع فأنال رتبته فلم حرمتني هذه الرتبة أبد الآبدين وكنت قادرا على أن توصلني لها ؟ فلا يكون له جواب إلا أن يقول علمت أنك لو بلغت لعصيت وما أطعت وتعرضت لعقابي وسخطي فرأيت هذه الرتبة النازلة أولى بك وأصلح لك

من العقوبة فينادى الكافر البالغ من الهاوية ويقول يارب أو ماعلمت أنى إذا بلغت كفرت فلو أمتنى فى الصبا وأنزلتنى فى تلك المنزلة النازلة لكان أحب إلى من تخليد النار وأصلح فلم أحييتنى وكان الموت خيرا لى فلا يبقى له جواب ألبتة أو معلوم أن هذه الأقسام الثلاثة موجودة وبه يظهر على القطع أن الأصلح للعباد كلهم ليس بواجب ولا هو موجود .

الموضوع الرابع : عدم وجوب الثواب عليه سبحانه وتعالى :

قال الإمام الغزالى : " ندعى أن الله تعالى إذا كلف العباد فأطاعوه لم يجب عليه الثواب بل إن شاء أثابهم وإن شاء عاقبهم وإن شاء أعدمهم ولم يحشرهم ولايبالى لو غفر لجميع الكافرين وعاقب جميع المؤمنين ولايستحيل ذلك فى نفسه ولا يناقض صفة من صفات الألوهية وهذا لأن التكليف تصرف فى عبيده ومماليكه ، أما الثواب ففعل آخر على سبيل الابتداء وكونه واجبا بالمعانى الثلاثة غير مفهوم ولا معنى للحسن والقبيح ، وإن أريد له معنى آخر فليس بمفهوم إلا أن يقال إنه يصير وعده كذبا وهو محال ونحن نعتقد الوجوب بهذا المعنى ولاننكره ، فإن قيل التكليف مع القدرة على الثواب وترك الثواب قبيح .

قلنا : إن عنيتم بالقبح أنه مخالف غرض المُكلِّف فقد تعالى المكلِّف وتقدس عن الأغراض ، وإن عنيتم به أنه مخالف غرض المُكلَّف فمسلم ولكن ما هو قبيح عند المكلف لم يمتنع عليه فعله إذا كان القبح والحسن عنده وفى حقه بمثابة واحدة ، على أنا لو أنزلنا على فاسد معتقدهم فلا نسلم أن من يستخدم عبده يجب عليه فى العادة ثواب لأن الثواب يكون عوضا عن العمل فتبطل فائدة الرق وحق على العبد أن يخدم مولاه لأنه عبده فإن كان لأجل عوض فليس ذلك خدمة ، ومن العجائب قولهم إنه يجب الشكر على العباد لأنهم عباد قضاء لحق نعمته ثم يجب عليه الثواب على الشكر وهذا محال لأن المستحق إذا وفى لم يلزمه فيه عوض ولو جاز ذلك للزم على الثواب شكر مجدد وعلى هذا الشكر ثواب مجدد ويتسلسل إلى غير نهاية ولم يزل العبد والرب كل واحد منهما أبدا مقيدا بحق الآخر وهو محال وأفحش من هذا قولهم إن كل من كفر يجب على الله تعالى أن يعاقبه أبدا ويخلده فى النار بل كل من قارف كبيرة ومات قبل التوبة يخلد فى النار وهذا جهل بالكرم والمروءة والعقل والعادة والشرع وجميع الأمور ، فإنا نقول العبادة قاضية والعقول مشيرة إلى أن التجاوز والصفح

أحسن من العقوبة والانتقام وثناء الناس على العافى أكثر من ثنائهم على المنتقم واستحسانهم للعفو أشد فكيف يستقبح العفو والإنعام ويستحسن طول الانتقام ثم هذا فى حق من آذته الجناية وغضت من قدره المعصية والله تعالى يستوى فى حقه الكفر والإيمان والطاعات والعصيان فهما فى حق ألوهيته وجلاله سيان ثم كيف يستحسن إن سلك طريق المجازاة واستحسن ذلك تأبيد لعقاب خالدا مخلدا فى مقابلته بكلمة واحدة فى لحظة ومن انتهى عقله فى الاستحسان إلى هذا الحد كانت دار المرض أليق به من مجامع العلماء ، على أنا نقول لو سلك سالك ضد هذا الطريق بعينه كان أقوم قيلا وأجرى على قانون الاستحسان والاستقباح الذى تقضى به الأوهام والخيالات كما سبق وهو أن الإنسان يقبح منه أن يعاقب على جناية سبقت وجناية تداركها إلا لوجهين أحدهما أن يكون فى العقوبة زجر ورعاية مصلحة فى المستقبل فيحسن ذلك خيفة من فوات غرض فى المستقبل فإن لم يكن فيه مصلحة فى المستقبل أصلا فالعقوبة بمجرد المجازاة على ما سبق قبيح لأنه لا فائدة فيه للمعاقب ولا لأحد سواه والجانى متأذ به ودفع الأذى عنه أحسن وإنما يحسن الأذى لفائدة ولا فائدة وما مضى فلا

تدارك له فهو فى غاية القبح ٠

الوجه الثانى : أن نقول إنه إذا تأذى المجنى عليه واشتد غيظه فذلك الغيظ مؤلم وشفاء الغيظ مريح من الألم والألم بالجانى أليق ومهما عاقب الجانى زال منه ألم الغيظ واختص بالجانى فهو أولى فهذا أيضا وجه ما وإن كان دليلا على نقصان العقل وغلبة الغضب عليه فأما إيجاب العقاب حيث لايتعلق بمصلحة فى المستقبل لأحد فى عالم الله تعالى ولا فيه دفع أذى عن المجنى عليه فهى غاية القبح فهذا أقوم من قول من يقول إن ترك العقاب فى غاية القبح والكل باطل واتباع لموجب الأوهام التى وقعت بتوهم الأغراض والله تعالى متقدس عنها ولكننا أردنا معارضة الفاسد ليتبين به بطلان خيالهم ٠

الموضـــوع الخامس

حـكم بعثـة الأنبيـــــاء

قال الإمـام الغزالي " ندعى أن بعثة الأنبياء جائزة وليس بمحال ولا واجب ، وقالت المعتزلة إنه واجـب وقد سـبق وجه الرد عليهم . وقالت البراهمـة إنه محـال ، وبرهان الجـواز أنه مهما قام الدليـل على أن الله تعـالى متكلم وقام الدليل على أنه قـادر لا يعجـز علـى أن يدل كلام النفس بخلق ألفاظ وأصـوات ورقـوم أو غيرهـــا مـن الدلالات وقد قام دليل على جـواز إرسال الرسل فإنا لسنا نعـنى بـه إلا أن يقـوم بذات الله تعالى خـبر عن الأمر النافع فى الآخـرة والأمـر الضار بحكم إجـراء العادة ويصدر منه فعل هو دلالة الشخـص على ذلك الخـبر وعلى أمـره بتبليـغ الخبر ويصـدر منه فعـل خـارق للعادة مقرونـا بدعوى ذلك الشخـص الرسـالة فليس شئ من ذلـك محـالا لذاته فإنه يرجـع إلى كـلام النفس وإلى اختراع ما هو دلالـة على الكـلام وما هو مصـدق للرسول ، وإن حكم باستحـالة ذلك مـن حيث الاستقـباح والاستحسـان فقد أستأصلنـا هذا الأصـل فـى حق اللـه تعالى ثم لا يمكـن أن يدعـى قبح إرسـال الرسل على قانون الاستقـباح ، فالمعتزلـة مع المصـير إلى ذلك لم يستقبحـوا هـــذا

فليس إدراك قبحه ولا إدراك امتناعه فى ذاته ضروريا فلابد من ذكر سببه وغاية ماهو به ثلاث شبه :

الأولى : قولهم إنه لو بعث النبى بما تقتضيه العقول ففى العقول غنية عنه وبعثة الرسول عبث وذلك على الله تعالى محال ، وإن بعث بما يخالف العقول استحال التصديق والقبول .

الثانية : أنه يستحيل العبث لأنه يستحيل تعريف صدقه لأن الله تعالى لو شافه الخلق بتصديقه وكلمهم جهارا فلا حاجة إلى رسول وإن لم يشافه به فغايته الدلالة على صدقه بفعل خارق للعادة ولا يتميز ذلك عن السحر والطلسمات وعجائب الخواص وهى خارقة للعادات عند من لايعرفها وإذا استويا فى خرق العادة لم يؤمن ذلك فلا يحصل العلم بالتصديق .

الثالثة : أنه إن عرف تمييزها عن السحر والطلسمات والتخيلات فمن أين يعرف الصدق ولعل الله تعالى أراد إضلالنا وإغوائنا بتصديقه ولعل كل ما قال النبى إنه مسعد فهو مشتق وكل ما قال مشتق فهو مسعد ولكن الله أراد أن يسوقنا إلى الهلاك ويغوينا بقول الرسول

فإن الإضلال والإغواء غير محال على الله تعالى عندكم إذ العقل لايحسن ولايقبح وهذه أقوى شبهة ينبغي أن يجادل بها المعتزلي عند رومه إلزام القول بتقبيح العقل إذ يقول إن لم يكن الإغواء قبيحا فلا يعرف صدق الرسول قط ولا يعلم أنه ليس بإضلال والجواب أن نقول :

أما الشبهة الأولى فضعيفة فإن النبي صلى الله عليه وسلم يرد مخبرا بما لا تشتغل العقول بمعرفته ولكن تستقبل بفهمه إذا عرف فإن العقل لايرشد إلى النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد ولا يفرق بين المشقى والمسعد كما لايستقل بدرك خواص الأدوية والعقاقير ولكنه إذا عرف فهم وصدق وانتفع بالسماع فيجتنب الهلاك ويقصد المسعد كما ينتفع بقول الطبيب في معرفة الداء والدواء ثم وكما يعرف صدق الطبيب بقرائن الأحوال وأمور أخر فكذلك يستدل على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام بمعجزات وقرائن حالات فلا فرق .

فأما الشبهة الثانية وهو عدم تمييز المعجزة عن السحر والتخييل فليس كذلك فإن أحدا من العقلاء لم يجوز انتهاء

السحر إلى احياء الموتى وقلب العصا ثعبانا وفلق القمر وشق البحر وإبراء الأكمه والأبرص وأمثال ذلك القول الوجيز :
وإن هذا القائل إن ادعى أن كل مقدور لله تعالى فهو ممكن تحصيله بالسحر فهو قول معلوم الاستحالة بالضرورة وإن فرق بين فعل قوم وفعل قوم فقد تصور تصديق الرسول بما يعلم أنه ليس من السحر ويبقى النظر بعده في أعيان الرسل عليهم الصلاة والسلام وآحاد المعجزات وأن ما أظهروه من جنس مايمكن تحصيله بالسحر أم لا ومهما وقع الشك فيه لم يحصل التصديق به ما لم يتحد به النبي على ملأ من أكابر السحرة ولم يمهلهم مدة المعارضة ولم يعجزوا عنه وليس الآن من غرضنا المعجزات .

وأما الشبهة الثالثة وهو تصور الإغواء من الله تعالى والتشكيك بسبب ذلك فنقول مهما علم وجه دلالة المعجزة على صدق النبي علم أن ذلك مأمون عليه وذلك بأن يعرف الرسالة ومعناها ويعرف وجه الدلالة فنقول لو تحدى إنسان بين يدي ملك على جنده أنه رسول الملك اليهم وأن الملك أوجب طاعته عليهم في قيمة الأرزاق والاقطاعات فطالبوه بالبرهان والملك ساكت فقال

أيها الملك إن كنت صادقا فيما ادعيته فصدقني بأن تقوم على سريرك ثلاث مرات على التوالي وتقعد على خلاف عادتك فقام الملك عقيب التماسه على التوالي ثلاث مرات ثم قعد حصل للحاضرين علم ضروري بأنه رسول الملك قبل أن يخطر ببالهم أن هذا الملك من عادته الاغواء أم يستحيل في حقه ذلك بل لو قال الملك صدقت وقد جعلت رسولا ووكيلا لعلم أنه وكيل ورسول فإذا خالف العادة بفعله كان ذلك كقوله أنت رسولي وهذا ابتداء نصب وتولية وتفويض ولا يتصور الكذب في التفويض وإنما يتصور في الأخبار والعلم ويكون هذا تصديقا وتفويضا ضروريا ولذلك لم ينكر أحد صدق الأنبياء من هذه الجهة بل أنكروا كون ما جاء به الأنبياء خارقا للعادة وحملوه على السحر والتلبيس أو أنكروا وجود رب متكلم آمرناه مصدق مرسل فأما من اعترف بجميع ذلك واعترف بكون المعجزة فعل الله تعالى حصل له العلم الضروري بالتصديق فإن قيل فهب أنهم رأوا الله تعالى بأعينهم وسمعوه بآذانهم وهو يقول هذا رسولي ليخبركم بطريق سعادتكم وشقاوتكم فما الذي يؤمنكم أنه أغوى الرسول والمرسل إليه وأخبر عن

المشقى بأنه مسعد وعن المسعد بأنه مشقى فإن ذلك غير محال إذا لم تقولوا بتقبيح العقول بل لو قدر عدم الرسول ولكن قال الله تعالى شفاها وعيانا ومشاهدة نجاتكم في الصوم والصلاة والزكاة وهلاككم في تركها فبم تعلم صدقه فلعله يلبس علينا ليغوينا ويهلكنا فإن الكذب عندكم ليس قبيحا لعينه وإن كان قبيحا فلا يمتنع على الله تعالى ما هو قبيح وظلم وما فيه هلاك الخلق أجمعين ·

والجواب : أن الكذب مأمون عليه فإنه إنما يكون في الكلام وكلام الله تعالى ليس بصوت ولا حرف حتى يتطرق إليه التلبيس بل هو معنى قائم بنفسه سبحانه وتعالى فكل ما يعلمه الإنسان يقوم بذاته خبر عن معلومه على وفق علمه ولا يتصور الكذب فيه وكذلك في حق الله تعالى وعلى الجملة الكذب في كلام النفس محال وفي ذلك الأمن مما قالوه وقد اتضح بهذا أن الفعل مهما علم أنه فعل الله تعالى وأنه خارج عن مقدور البشر واقترن بدعوى النبوة حصل العلم الضروري بالصدق وكان الشك من حيث الشك في أنه مقدور البشر أم لا ،

فأما بعد معرفته كونه من فعل الله تعالى لايبقى للشك مجال أصلا ألبتة فإن قيل فهل تجوزون الكرامات قلنا اختلف الناس فيه والحق أن ذلك جائز فإنه يرجع إلى خرق الله تعالى لعادة بدعاء إنسان أو عند حاجته وذلك مما لايستحيل في نفسه لأنه ممكن ولايؤدي إلى محال آخر فإنه لايؤدي إلى بطلان المعجزة ، لأن الكرامة عبارة عما يظهر من غير اقتران التحدي به فإن كان مع التحدي فإنا نسميه معجزة ويدل بالضرورة على صدق المتحدي وإن لم تكن دعوى فقد يجوز ظهور ذلك على يد فاسق لأنه مقدور في نفسه فإن قيل فهل من المقدور إظهار معجزة على يد كاذب قلنا المعجزة مقرونة بالتحدي نازلة منزلة قوله سبحانه صدقت وأنت رسولي وتصديق الكاذب محال لذاته وكل من قال له أنت رسولي صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا فالجمع بين كونه كاذبا وبين ما ينزل منزلة قوله أنت رسولي محال لأن معنى كونه كاذبا أنه ما قيل له أنت رسولي ومعنى المعجزة أنه قيل له أنت رسولي ومعنى المعجزة أنه قيل له أنت رسولي فإن فعل الملك على ما ضربنا من المثال كقوله أنت رسولي فاستبان بالضرورة أن هذا غير مقدور لأنه محال والمحال لا قدرة عليه .

الموضـــوع السادس : اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

قال الغزالي : وإنما نفترق إلى اثبات نبوتـــه على الخصوص على ثلاث فـــرق :

الفرقة الأولى : العيسوية حيث ذهبوا إلى أنه رسول إلى العرب فقـــط لا إلى غيرهم وهذا ظاهر البطلان " فإنهم اعترفـــوا بكونه رسولا حقـــا ومعلوم أن الرسول لايكـــذب وقد ادعى هو أنه رسول مبعوث إلى الثقلين وبعث رســـوله إلى كسرى وقيصـــر وسائر ملوك العجـــم وتوافر ذلك منه فما قالـــوه محال متناقـــض .

الفرقة الثانية : اليهـــود فإنهم أنكروا صدقه لا بخصوص نظر فيه وفـــي معجـــزاته بل زعمـــوا أنه لا نبي بعد موسى عليه السلام فأنكـــروا نبـــوة محمـــد وعيسى عليهما السلام فينبغي أن تثبـــت عليهم نبـــوة عيسى لأنه ربما يقصـــر فهمهم عن درك إعجـــاز القـــرآن ولا يقصـــرون عـــن درك إعجـــاز إحياء الموتى وإبراء الأكمـــه والأبـــرص فيقال لهم ما الـــذى حملكـــم على الفرق بين ما يستدل على صدقـــه بإحياء الموتى وبيـــــن من يستدل بقلب العصا - ثعبانا - ولا يجدون إليه سبيلا ألبتة إلا أنهم ضلوا بشبهتين :

احداهما : قولهم النسخ محال في نفسه لأنه يدل على البـــدء والتغير

وذلك محال على الله تعالى .

والثانية : فهم بعض الملاحدة أن يقولوا قد قال موسى عليه السلام عليكم بديني مادامت السموات والأرض وأنه قال إني خاتم الأنبياء .

أما الشبهة الأولى فبطلانها بفهم النسخ وهو عبارة عن الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت المشروط استمراره بعدم لحقوق خطاب يرفعه وليس من المحال أن يقول السيد لعبده قم مطلقا ولا يبين له مدة القيام وهو يعلم أن القيام مقتض منه إلى بقاء مصلحته في القيام ويعلم مدة مصلحته ولكن لاينبه عليها ويفهم العبد أنه مأمور بالقيام مطلقا وأن الواجب الاستمرار عليه أبدا إلا أن يخاطبه السيد بالقعود فإذا خاطبه بالقعود قعد ولم يتوهم بالسيد أنه بدا له أو ظهرت له مصلحة كان لايعرفها والآن قد عرفها بل يجوز أن يكون قد عرف مدة مصلحة القيام وعرف أن الصلاح في أن لاينبه العبد عليها ويطلق الأمر له اطلاقا حتى يستمر على الامتثال ثم إذا تغيرت مصلحته أمره بالقعود وهكذا ينبغي أن يفهم اختلاف أحكام الشرائع فإن ورود النبي صلى الله عليه وسلم ليس بناسخ لشرع من قبله بمجرد بعثته ولا في معظم الأحكام ولكن في بعض الأحكام كتغيير قبلة وتحليل محرم وغير ذلك وهذه المصالح تختلف بالأعصار والأحوال

فليس فيه مايدل على التغير ولا على الاستبانة بعد الجهل ولا على التناقض ثم هذا إنما يستمر لليهود إذ لو اعتقدوا أنه لم يكن شريعة من لدن آدم إلى زمن موسى وينكرون وجود نوح وإبراهيم وشرعهما ولا يتميزون فيه عمن ينكر نبوة موسى وشرعه وكل ذلك إنكار ما علم على القطع بالتواتر .

وأما الشبهة الثانية فسخيفة من وجهين :

أحدهما : أنه لو صح ما قالوه عن موسى لما ظهرت المعجزات على يد عيسى فإن ذلك تصدق بالضرورة فكيف يصدق الله تعالى بالمعجزة من يكذب موسى وهو أيضا مصدق له أفتنكرون معجزة عيسى وجودا أو تنكرون إحياء الموتى دليلا على صدق المتحدى فإن أنكروا شيئا منه لزمهم فى شرع موسى لزوما لايجدون عنه محيصا ، وإذا اعترفوا به لزمهم تكذيب من نقل إليهم من موسى عليه السلام قوله إنى خاتم الأنبياء .

الثانى : أن هذه الشبهة إنما لقنوها بعد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته ولو كانت صحيحة لاحتج اليهود بها وقد حملوا بالسيف على الإسلام وكان رسولنا عليه الصلاة والسلام مصدقا بموسى عليه الصلاة والسلام وحاكما على اليهود بالتوراة من حكم الرجم

وغيره فهو عرض عليه من التوراة ذلك وما الذى صرفهم عنه ومعلوم قطعا أن اليهود لم يحتجوا به لأن ذلك لو كان لكان معجما لا جواب عنه ولتواتر نقله ، ومعلوم أنهم لم يتركوه مع القدرة عليه ولقد كانوا يحرصون على الطعن فى شرعه بكل ممكن حماية لدمائهم وأموالهم ونسائهم فإذا ثبت عليهم نبوة عيسى أثبتنا نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بما نثبتها على النصارى .

الفرقة الثالثة : وهم مجوزون النسخ ولكنهم منكرون نبوة نبينا من حيث إنهم ينكرون معجزته فى القرآن وفى إثبات نبوته بالمعجزة طريقان :

الأول : التمسك بالقرآن فإنا نقول لا معنى للمعجزة إلا ما يقترن بتحدى النبى عليه الصلاة والسلام عند استشهاده على صدقه على وجه يعجز الخلق عن معارضته وتحديه على العرب مع شغفهم بالفصاحة واغراقهم فيها متواتر وعدم المعارضة معلوم إذ لو كان لظهر فإن أرذل الشعراء لما تحدوا بشعرهم وعورضوا ظهرت المعارضات أو المناقضات الجارية بينهم فإذن لايمكن إنكار تحديه بالقرآن ولايمكن انكار اقتدار العرب على طريق الفصاحة ولايمكن

انكار حرصهم على دفع نبوته بكل ممكن حماية لدينهم ودمهم ومالهم وتخلصا من سطوة المسلمين وقهرهم ولايمكن انكار عجزهم لأنهم لو قدروا لفعلوا فإن العادة قاضية بالضرورة بأن القادر على دفع الهلاك عن نفسه يشتغل بدفعه ولو فعلوا لظهر ذلك ونقل فهذه مقدمات بعضها يجارى العادات وكل ذلك مما يورث اليقين فلا حاجة إلى التطويل وبمثل هذا الطريق تثبت نبوة عيسى عليه السلام ولا يقدر النصرانى على انكار شئ من ذلك فإنه يمكن أن يقابل فينكر تحديه بالنبوة إن استشهاده بإحياء الموتى أو وجود إحياء للموتى أو عدم المعارضة أو يقال عورض ولم يظهر وكل ذلك مجاحدات لايقدر عليها المعترف بأصل النبوات فإن قيل ما وجه إعجاز القرآن قلنا الجزاله والفصاحة مع النظم العجيب والمنهاج الخارج عن مناهج كلام العرب فى خطبهم وأشعارهم وسائر صنوف كلامهم والجمع بين هذا النظم وهذه الجزالة معجز خارج عن مقدور البشر نعم ربما يرى للعرب أشعار وخطب حكم فيها بالجزالة وربما ينقل عن بعض من قصد المعارضة مراعاة هذا النظم بعد تعلمه من القرآن ولكن من غير جزالة بل مع ركاكة كما يحكى عن ترهات

مسيلمة الكذاب حيث قال الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل وخرطوم طويل فهذا وأمثاله ربما يقدر عليه مع ركاكة يستغثها الفصحاء ويستهزئون بها وأما جزالة القرآن فقد قضى كافة العرب منها العجب ولم ينقل عن واحد منهم تشبث بطعن فى فصاحته فهذا إذن معجز وخارج عن مقدور البشر من هذين الوجهين أعنى من اجتماع هذين الوجهين .

فان قيل : لعل العرب اشتغلت بالمحاربة والقتال فلم تعرج على معارضة القرآن ولو قصدت لقدرت عليه أو منعتها العوائق عن الاشتغال به والجواب أن ما ذكروه هوس فإن دفع تحدى المتحدى بنظم كلام أهون من الدفع بالسيف مع ما جرى على العرب من المسلمين بالأسر والقتل والسبى وشن الغارات ثم ما ذكروه غير دافع غرضنا فإن انصرافهم عن المعارضة لم يكن إلا بصرف من الله تعالى والصرف عن المقدور المعتاد من أعظم المعجزات فلو قال نبى آية صدقى أنى فى هذا اليوم أحرك أصبعى ولايقدر أحد من البشر على معارضتى فلم يعارضه أحد فى ذلك اليوم ثبت صدقه وكان فقد قدرتهم على الحركة مع سلامة الأعضاء مع أعظم المعجزات وإن فرض وجود القدرة ففقد داعيتهم

وصرفهم عن المعارضة من أعظم المعجزات مهما كانت حاجتهم ماسة إلى الدفع باستيلاء النبى صلى الله عليه وسلم على رقابهم وأموالهم وذلك كله معلوم على الضرورة فهذا طريق تقدير نبوته على النصارى ومهما تشبثوا بإنكار شئ من هذه الأمور الجليلة فلا نشتغل إلا بمعارضتهم بمثله فى معجزات عيسى عليه السلام ٠

الطريقة الثانية : أن نثبت نبوته بجملة من الأفعال الخارقة للعادات التى ظهرت عليه كانشقاق القمر ونطق العجماء وتفجر الماء من بين أصابعه وتسبيح الحصى فى كفه وتكثير الطعام القليل وغيره من خوارق العادات وكل ذلك دليل على صدقه ٠

فإن قيل : آحاد هذه الوقائع لم يبلغ نقلها مبلغ التواتر قلنا ذلك أيضا إن سلم فلا يقدح فى الغرض لأن آحاد هذه الوقائع وإن لم يبلغ نقلها مبلغ التواتر إلا أنها فى مجموعها تعد متواترة كشجاعة على رضوان الله عليه وسخاوة حاتم معلومان بالضرورة على القطع تواترا وآحاد تلك الوقائع لم تثبت تواترا ولكن يعلم من مجموع الآحاد على القطع ثبوت صفة الشجاعة والسخاوة فكذلك هذه الأحوال العجيبة بالغة جملتها مبلغ التواتر لا يسترب

فيها مسلم أصـلا فإن قال قائل من النصـارى هذه الأمور لم تتواتـر عنـدى لا جملتها ولا آحـادها .

يقال ولو انحـاز يهودى إلى قطر من الأقطـار ولم يخالـط النصارى وزعـم أنه لم تتواتـر عنده معجـزات عيسى عليه السـلام وإن تواتـرت فعلى لسان النصارى وهم متهمـون بـه فبماذا ينفصلون عنه ولا انفصـال عنه إلا أن يقـال ينبغى أن تخالط القوم الذيـن تواتـر ذلك بينهـم حتى يتواتـر ذلك إليـك فإن الأصم لا تتواتـر عنـده الأخـبار وكـذا المتصامـم فهذا أيضـا عذرنا عند إنكـار واحد منهم التواتـر على هذا الوجـه .

الفهـــرس